السفارات العربية ـ البيزنطية في العصرين الراشدي والأموي

الدكتورة: ناهد محمود حسين

كلية الآداب – قسم التاريخ – جامعة دمشق

الملخص

السفارة من أقدم وسائل الاتصال؛ لأن الإنسان مدني الطبع، فلا يمكن لأي فرد من أفراده أن يعيش منفرداً عن الآخرين، منعزلاً عنهم، سواء في الحياة الفردية أو الاجتماعية أو الدولية، ولا يختلف حال الأمم والشعوب عن حال الأفراد، وبذلك يظهر أن تبادل الرسالات والسفارات بين الأمم والدول حاجة ضرورية لتنظيم العلاقات في السلم والحرب، وفي مجالات سياسية وثقافية واقتصادية وحضارية وغيرها من حقوق الحياة الإنسانية.

فقد بودلت السفارات بين البيزنطيين والعرب في العصر الراشدي والأموي لأغراض شتى، منها ما يتعلق بالتجارة ومنها ما يتعلق بإيجاد حسن الجوار، وهذا الجانب يختلف عن العلاقات السياسية المقصورة على الحروب والحركات العسكرية. حيث يذكر البحث حركات السفراء والوفود سواء أكانوا من العرب إلى بيزنطة أو من بيزنطة إليهم في العصرين الراشدي والأموي.

كما أن السفراء كانوا يتحلون بجملة من الصفات حتى يتم تعيينهم من ذلك الحالة الصحية والفطنة والذكاء وسلامة اللغة وغيرها؛ لأن السفير هو صورة بلده ودينه لذلك كان هناك شروط لاختياره وضع قواعدها الرسول الكريم. وبقي الخلفاء المسلمون يتبعونها لاختيار سفرائهم، ولم تكن السفارة للدعوة لعقد الصلح فحسب، بل كانت لها مهام أخرى مثل: الدعوة للإسلام، التفاوض لعقد الصلح، أو حتى في بعض الأحيان للتجسس على العدو.

كلمات مفتاحية: السفارات، الرسل، البعثات، أموي، راشدي، صلح، اتفاقية، علاقات.

Arab-Byzantine Embassies in the Rashidun and Umayyad Eras

Abstract

The Embassy is one of the oldest means of communication; Because man is of a civil nature, so none of his individuals can live alone from others, isolated from them, whether in individual, social or international life. Relationships in peace and war, and in the areas of politics, culture, economics, civilization and other rights of human life.

The embassies were exchanged between the Byzantines and the Arabs in the Rashidun and Umayyad era for various purposes, including those related to trade and others related to finding good neighborliness, and this aspect differs from political relations limited to wars and military movements. Where the research mentions the movements of ambassadors and delegations, whether they were from the Arabs to Byzantium or from Byzantium to them in the Rashidun and Umayyad eras.

The ambassadors used to possess a set of qualities until they were appointed from this state of health, acumen, intelligence, soundness of language, and others. Because the ambassador is the image of his country and his religion, so there were conditions for his choice to set the rules for the Holy Prophet. And the Muslim caliphs remained following it to choose their ambassadors, and the embassy was not only to call for peace, but it had other tasks such as: calling for Islam, negotiating for peace, or even sometimes to spy on the enemy.

Keywords: Embassies, Messengers, Missions, Umayyad, Rashidi, Reconciliation, Agreement, Relations.

المقدمة

تتبوأ العلاقات الخارجية مكانة هامة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية على امتداد عصورها، فقد أقامت هذه الدولة علاقات متعددة مع عدد من دول العالم المعاصر لها، حتى صار لتلك العلاقات مجالات مختلفة سياسية وحربية واقتصادية وثقافية وأصبح لكل منها شأن ومراسم وتقاليد معينة. وتؤلف السفارات واحدة من أهم تلك العلاقات بين الدولة العربية الإسلامية وغيرها من الدول، فكان لها أهمية كبرى في الإسلام، فإنها وسيلة هامة لتنظيم العلاقات بين الأمم والشعوب والأفراد مما يزيد من عظمتها ومنزلتها أن الأنبياء كانوا سفراء بين الله وبين أممهم، والإسلام هو الدين الذي قدر السفارة حق التقدير وأعطاها الحرمة والكرامة، والشرف الذي لا يمس، وأحلها منزلة مرموقة، ومنزلة سامية، فقد وصلت السفارات الإسلامية في عصور مختلفة إلى بلاطات ملوك الصين والهند في الشرق وأباطرة الدولة البيزنطية في الشمال. فتعددت وفادات السفارات الإسلامية إلى تلك الدول واختلفت أهدافها ونتائجها وتفاوت إقامتها بين دولة وأخرى، وتفاوت أيضاً عدد أعضائها ومكانتهم في دولتهم، والاستقبال الذي لقوه في الدولة الموفدين لها، مما يستدعى الباحثين في التاريخ الإسلامي دراسة هذه السفارات بين الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة وبين كل دولة من الدول المعاصرة لها.

كما تُعَدُّ السفارات من أهم وأقدم الأنظمة التي عرفتها الدول، لأثرها الكبير في تمتين العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، وتاريخ الدولة الراشدية والأموية حافل بالأحداث والتي تراوحت بين الحرب والسلم فيما بينهم وبين جيرانهم من الدول لهذا لا بُدَّ من إيجاد وسيلة للحوار من أجل نبذ الحروب وعقد المعاهدات، ولما كان للسفارات دور كبير في تطوير وتعميق العلاقات السياسية والاقتصادية فقد كلف الخلفاء الراشدين والأمويين من يمثلهم، فعدَّ السفير حلقة الوصل لتحقيق أهدافهم فجاءت هذه الدراسة بعنوان: "**السفارات العربية ـ البيزنطية في العصرين الراشدي والأموي**"، وجاء اختيار موضوع السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية مخصصاً بالسفارات الراشدية والأموية إليها وذلك لدراسة جانب مهم في علاقة الدولة الراشدية والأموية بإمبراطورية عظيمة عاصرتها وهي الدولة

البيزنطية التي كانت إحدى دول العالم الكبرى آنذاك، ومن ثم تتبع العلاقات وتحليلها قدر الإمكان وفق المتاح في المصادر والمراجع المختلفة.

فقد جرت بينهم السفارات وتبادلت الوفادات والمتاجرة لفترة من الزمن تعاقبت خلالها فترات الحرب ووفادات السفارات وتفاوتت في دوافعها ونتائجها ومراسم استقبالها وموقف البيزنطيين منها إلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالسفارات. وهي موضوعات تحتاج إلى دراسة تاريخية تبرزها وتوضحها وتجمع شتاتها وتقارن بينها وتحلل أهدافها.

أهمية البحث:

تُعَدُّ دراسة السفارات موضوعاً بالغاً الأهمية في دراسة التاريخ السياسي للدولة الراشدية والأموية، حيث يعكس مدى التواصل الفكري أو المعرفي بين المسلمين وبيزنطة؛ إذ أن تلك السفارات كانت لسان حال السلطة في الدولة العربية الإسلامية وما يناظرها، فكان اتصال العرب بغيرهم عن طريق التجارة والحروب، لذلك مثلت تلك السفارات صورة مشرقة من الحوار السياسي والدبلوماسي. كما أنه يوضح لنا مدى التطور السياسي الذي شهدته الحضارة الإسلامية في فترة تُعَدُّ من أهم فترات التاريخ الإسلامي، دون أن ننسى أن السفارة والدبلوماسية الإسلامية مثلت صورة عن التعامل المنبثق عن تربية أخلاقية إسلامية وضع أسسها الرسول عليه الصلاة والسلام، أضف إلى ذلك أن تلك الرسائل والسفارات التي بُعثت في العصرين الراشدي والأموي حملت لنا الكثير من المعلومات والحقائق التاريخية لتلك الفترة الزمنية.

إشكالية البحث:

سيتم في هذا البحث إثارة العديد من التساؤلات:

- **ما هو الدور الذي لعبته السفارات في تمتين الروابط وتعزيزها بين الدولة الراشدية والأموية وبيزنطة؟**
- **إلى أي مدى نجحت الدولة الراشدية والأموية في استخدام السفارات والتقارب مع الدول المجاورة لها؟**
- **هل نجح حكام العرب في استخدام الدبلوماسية لغرض الاستقرار في بيزنطة؟.**

منهج البحث:

تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي والتحليلي في دراسة الأصول والمصادر الكتابية الذي يعتمد على قراءة النصوص بشكل يساهم في تقديم المعلومة من أجل الوصول إلى النتائج الصحيحة واستقراء كافة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع والقيام بتحليلها. إذ إن المعلومات التي جاءت في المصادر غير كافية لذلك كان لا بدَّ من استقراء ما بين السطور وتحليل المعلومة لتقديمها بطريقة علمية مُبسَّطة بعيدة عن الركاكة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاستقصاء تبين أنه لا يوجد دراسة سابقة تفصيلية عن السفارات الراشدية والأموية إلى بيزنطة على الرغم من كثرة الدراسات التاريخية التي تبحث في العلاقات السياسية للدولة الراشدية والأموية إلا أن الجانب الدبلوماسي وتاريخ النظم السياسية لم ينل بعد القسط الوافر من البحث والتحقيق.

أهداف الدراسة:

تفتقر المكتبة العربية إلى أبحاث أكاديمية تعالج موضوع السفارات الراشدية والأموية إلى بيزنطة، حيث ركزت أغلب الدراسات على صفات الرسل وواجباتهم ومهامهم وحقوقهم وواجباتهم وأهملت الخوض في تفاصيل السفارات لذلك فإن البحث يهدف إلى أن يكون إضافة علمية إلى المكتبة العربية وأن يقدّم للباحثين في مجال التاريخ الإسلامي مادة علمية أولية.

أولاً: معنى السفارة لغة واصطلاحاً وأدلة مشروعيتها

شهد العصرين الراشدي والأموي تنوعاً في العلاقات مع الدول المجاورة لهم، فكان لا بد من نظام دبلوماسي لإضفاء صيغة رسمية لهذه العلاقات، وشكلت السفارة أهم صور هذا التواصل والحوار السياسي، وهي من الوظائف المهمة في التاريخ الإسلامي ولذلك يجب التعرف على معنى السفارة لغة واصطلاحاً.

1- **معناها لغة:** كلمة مشتقة من سَفَرَ، أَسْفِرُ سَفَارَةً، أي كشف ما في قلبِ هذا وقلبِ هذا ليصلح بينهما[1]، والسَّفير هو الرَّسول المصلِحُ بين القومِ، والجمعُ سُفَراءُ[2]، ويقال: سَفَرَ بين القوم سِفَارة فهو سَافِر وسَفير إذا سعى في الإصلاح، أو أَصْلح بين النّاس لأنه أزال ما كان بينهم من عداوة وخلاف[3]. وفي حديث عليٍّ أنه قال لعثمان ﷺ: "إن النَّاس قد اسْتَسْفَرُوني بينك وبينهم" أي جعلوني سفيراً[4]. كما تدل على الانكشاف والجلاء، لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم[5]. وكذلك وردت اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

---

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت، 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م، ج4، ص370.

[2] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت، 666هـ/1267م): مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط2، بيروت، صيدا، 1420هـ/1999م، ص148؛ المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت، 770هـ/1368م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ج1، ص278؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب أبو طاهر (ت، 817هـ/1414م): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1426هـ/2005م، ص408؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت، 821هـ/1418م): صبح الأعشى وصناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج6، ص15.

[3] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي (ت، 616هـ/1219م): المشرف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، تح: ياسين محمد السواس، دار الفكر، دمشق، 1403هـ/1983م، ج2، ص357؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص370.

[4] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، 630هـ/1233م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، ج2، ص372؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص370.

[5] ابن زكريا، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت، 395هـ/1004م): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ج3، ص82؛ الزمخشري، جار الله محمود

﴿**وُجُوهٌ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**"﴾[1]. والسفارة هي النيابة أو الرّسالة، أي نيابة شخص ما عن الملك أو الحاكم إلى قوم أو أمم آخرين، وأصلها في اللغة الإصلاح، وتعني: التوجُّه إلى القوم عندما يكون خصام أو حرب بينهم للقيام بالصلح أو المهادنة على وجه التحديد[2].

2- أما **معناها اصطلاحاً**: المتتبع لمفهوم السفارة في اللغة يجدها لا تخرج عن مفهومها الاصطلاحي، فهي كلمة تُطلق على مكان إقامة السفير وجمعها سفارات، كما أنها تعني: إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة إلى دولة ما لإحلال السلم والإصلاح بين الدول، أو حتى في داخل الدولة الواحدة، وهي أيضاً بعث ولي الأمر أو الملك أو الحاكم لشخص معتمد من قِبَله إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة كان قد كلفه بها[3]. هذا التعريف يتفق على ما حفلت به السنة النبوية من وقائع وأحداث، وذلك يتمثل فيما أرسله النبي ﷺ من رسل، ويؤكد هذا المعنى ما كان عليه الحال في زمن الصحابة

بن عمر بن أحمد (ت، 538هـ/1144م): أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م، ج1، ص457-458.

[1] القرآن الكريم: سورة عبس، الآية 38-39.

[2] ضميرية، عثمان بن جمعة: السفارة والسفراء في الإسلام، الطائف، 1421هـ/2000م، ص25-26.

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت، 816هـ/1412م): كتاب التعريفات، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م، ص110؛ توفيق، عمر كمال: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م، ص118؛ ضميرية، السفارة والسفراء في الإسلام، ص27؛ حميدية، أمينة؛ عليان، ملكية: السفراء والدبلوماسيون في التاريخ الإسلامي ما بين القرنيين 4 و6هـ/10 و12م، رسالة ماجستير، إشراف: فاطمة الزهراء مالكي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1435-1436هـ/2014-2015، ص10.

والتابعين، وما جاء في أقوال الفقهاء المسلمين[1]. ولذا فالسفير يقوم بدور الوسيط بين دولته والدولة التي أُرسِل إليها، فإذا أحسن أداء مهمته ساعد على تمكين العلاقات بين دولته وغيرها، أما إذا لم يحسن فإن ذلك يؤدي إلى خلل في العلاقات[2].

والسفير في الاصطلاح الحديث عرفه كثير من رجال العلم السياسي وعلماء القانون الدولي: "أعلى مراتب السلك الدبلوماسي، وهو رئيس بعثة سياسية تعرف بالسفارة"[3]. يقوم بتمثيل رئيس الدولة ذات السيادة لدى بلاط دولة أخرى، ويخضع لسلطانه سائر أفراد البعثة الدبلوماسية والموظفون في السفارة[4].

3-وبالنسبة **لأدلة مشروعية السفارة:** ثبتت مشروعية السفارة بالكتاب والسنة والإجماع، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل على مشروعيتها، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود**﴾[5]. وجاء في تفسير العقود أنها ستة، منها: عقد الحلف ويراد به المحالفات والمعاهدات[6]. ولا شك أن عقدها يتم بواسطة السفارات، ولما أفادت هذه الآية جواز المعاهدات ومشروعية عقدها، فإن عقدها يكون مشروعاً وجائزاً[7].

---

[1] الكتاني، محمد عبد الحيّ بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي (ت، 1382هـ/1962م): نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط2، بيروت، د.ت،ج1، ص180.

[2] المهيري، سعيد عبد الله حارب، العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، دراسة مقارنة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1416هـ/1995م، ص290.

[3] عطية الله، أحمد: القاموس السياسي، دار النهضة العربية، ط3، القاهرة، 1968م، ص624.

[4] الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج3، ص206-207.

[5] القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية 1.

[6] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت، 370هـ/980م): أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ/1994م، ج3، ص286.

[7] سفر، حسن بن محمد: السفارات في النظام الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، 1417هـ/1996م، ص12.

وقال الله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1]، هذه الآية توضح أن الله يخبر الرسول ﷺ أنه بُعث لكافة الناس دون تمييز[2]. وقال جَلَّ شأنه مخاطباً رسول الله ﷺ: ﴿**وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون**﴾[3]. أي إلى جميع الخلائق من العرب والعجم[4].

وأما السنة فإنها تضمنت الكثير من التصرفات النبوية والأحاديث التي تدل على مشروعية السفارة، وذلك من خلال الكتب والرسائل التي حملها سفراء النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها، فقد أخرج النبي ﷺ رسله إلى الحارث الغساني ملك الحيرة، والحارث الحميري ملك اليمن، والمقوقس عظيم القبط، والنجاشي ملك الحبشة، وهرقل قيصر الروم، وكسرى ملك الفرس[5]. كان النبي ﷺ أول من أوفد السفراء في الإسلام وأول من استقبلهم وأعطاهم الأمان واحترم المواثيق والعهود[6]. وبطبيعة الحال فإنّ الرّسول ﷺ لا يمكنه تبليغ رسالة ربه لكل الأمة مباشرة، ولهذا كان لزاماً عليه أن يبعث رَسُلاً إلى مختلف الأمم لإيصال تعاليم ربه. وهذا دليل على مشروعية إيفاد الرسل والسفراء إلى مختلف الملوك.

ثانياً: صفات السفراء وطرق اختيارهم

نظراً لأهمية الرسل والسفراء والمبعوثين فقد أولت الدولة العربية الإسلامية عناية فائقة لحسن اختيارهم وتدريبهم على أصول العلاقات وحسن المعاملة، وضبط النفس وغير ذلك

---

(1) القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية 107.

(2) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيِّ الدِّمشقيِّ (ت، 774هـ/1372م): تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م، ج5، ص338.

(3) القرآن الكريم: سورة سبأ، الآية 28.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن، ج6، ص458.

(5) خطاب، محمد شيث: سفراء النبي ﷺ، دار الأندلس الخضراء، مؤسسة الريان، ط1، السعودية، بيروت، 1417هـ/1996م، ص40.

(6) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص12-13.

من الصفات، ووضعت لهم شروطاً وقواعد مختلفة يجب على المرشح لتولي السفارة أن يستكملها ليكون صالحاً للقيام بهذا العمل[1]. وقد كان الخلفاء والأمراء المسلمين يتشددون في اختيار سفرائهم، لأن السفير ليس فقط ممثلاً سياسياً لدولته، بل هو ممثل للإسلام وصاحب دعوة مأمور بتبليغها بأحسن الوجوه والطرق، فشخصية السفير المتصفة بالأمانة والخلق والتقوى هي عامل أساسي في انتشار هذا الدين[2]. فإذا حسن تصرفه وسلوكه فإنه يحسن لدينه ولدولته ولنفسه، أما إذا ساء تصرفه فإنه يعطي صورة سيئة خاطئة عن الإسلام[3]. وحرصت الدول منذ القديم على اختيار سفرائها من أفضل الرجال إليها،لأن السفير يمثل الخليفة الذي أرسله، فهو ينطق بلسانه وينوب عنه في مهامه[4]. قال الثعالبي: "اعلم أن الأيدي بأصابعها والملوك بصنائعها، وإن وزير الملك عينه، وأمينه أذنه، وكاتبه نطقه، وحاجبه خلقه، ورسوله عقله، ونديمه مثله، بهم تستقيم الأعمال وتجمع العمال ويقوى السلطان وتعمر البلدان، فإن استقاموا استقامت الأمور وإن اضطربوا اضطرب الجمهور"[5].

وهناك طريقة تتبع لاختيار السفراء من خلال تدريب المرشحين لتولي أعمال السفارة، ثم عقد اختبار لهم لاختيار من يستطيع أن يؤدي مهمة السفارة، وقد أنشأ لهذا الأمر ديوان سُمي "ديوان الرسائل" يختص بتدوين الرسائل والمكاتبات وحفظ الوثائق والمراسلات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول المجاورة[6]. ويعد ديوان الرسائل من أهم الدواوين،

---

(1) المهيري، العلاقات الخارجية، ص294.

(2) نجم، جمال أحمد جميل: أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، إشراف: جمال حشاش، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008م، ص23.

(3) المهيري، العلاقات الخارجية، ص298.

(4) المهيري، العلاقات الخارجية للدولة، ص294، 297.

(5) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت، 429هـ/1037م): الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، 1327هـ/1909م، ص62.

(6) المهيري، العلاقات الخارجية، ص295.

الدواوين، فقد كانت ولايته تسند لكُتاب عرفوا بسعة الأدب وبلاغة اللسان وجمال الصورة ورفعة النسب وحدّة الذكاء وصدق الحسب ولطف المذهب وغيرها من الصفات[1]. وقد كان لصاحب منزلة رفيعة عند الخلفاء، وفي وصف القلقشندي: "أنه ليس في منزلة خدم صاحب السلطان والمتصرفين في مهماته أخصمن كاتب الرسائل، فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ولا غنى له عن مفاوضته وآرائه..."[2]. وهو الذي ينشئ المكاتبات الصادرة من الخلفاء إلى الملوك والأباطرة ويساعده كتّاب حاذقين في تحرير الرسائل ومراجعتها، ولهذا لا غرابة إن جاءت رسائل المسلمين إلى أباطرة الدولة البيزنطية بليغة دقيقة في معانيها ومقاصدها[3]. وكانت هذه الرسائل تكتب باللغة العربية على أفخر أنواع الورق لاسيما البغدادي الذي كانت تكتب عليه المصاحف لجودته. وأسلوب هذه الرسائل فصيحاً واضحاً تختلف عباراته حسب الدولة الصادرة منها ومكانة الإمبراطور الموجهة إليه، ولا تخلو من عبارات الثناء والتمجيد والمجاملة للأباطرة وتذكيرهم بالعلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين أجدادهم وبين المسلمين. ويشار في آخر الرسالة إلى اسم السفير ومكانته في دولته وذكر الهدايا التي يحملها للإمبراطور ويوقع عليها الخليفة[4].

إذن فالسفارة مهمة خطيرة لا يحق لأي شخص ممارستها والقيام بها، فقد كان الرسول ﷺ القدوة الحسنة في اختياره لرسله وسفرائه من أهل المكانة والنسب وممن يتصفون

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت، 808هـ/1406م): تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص306؛ الخلف، سالم بن عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 1424هـ/2003م، ص338.

(2) صبح الأعشى، ج1، ص101.

(3) الرحيلي، سليمان: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية "سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، مكتبة التوبة، الرياض، 1414هـ/1993م، ص36-37.

(4) الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص39-40.

بالذكاء والفطنة، والقدرة على أداء المهمة الموكلة إليهم على أكمل وجه[1]. وجرت العادة بعد عصر الرسول ﷺ على اختيار السفراء من فئات معينة، وتكلم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن صفات الرسل فقال: "يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسماً، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجهاً، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم، وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرداء من الرسل..."[2].

ومن اهتمام المسلمين باختيار السفراء إن الخليفة يقوم باختيارهم واختبارهم بنفسه حتى يطمئن إلى حسن أدائهم لمهماتهم. ومثال ذلك اختيار الخليفة عبد الملك بن مروان لعامر بن شرحبيل الشعبي رسولاً إلى ملك الروم وكان أيّة من الفهم والذكاء والعلم، حتى حسد ملك الروم العرب عليه وحاول إغراء عبد الملك بقتله[3]. وكان عبد الملك إذا ولّى رجلاً بريداً، سأل عن صدقه وعفته، وقال: "إن كذبه يشكك في صدقه، وشرّه يحمله على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه"[4]. قال ابن الفراء: "يجب على السائس أن يجتهد في تخيره لهذا العمل من يصلح له،.."[5]. فالسفير واجهة لدولته ومعد لمقابلة الملوك والأمراء ولا بد أن تكون هذه الواجهة لائقة تبعث في النفس المسرة وتغرس فيها

---

(1) التابعي، محمد: السفارات في الاسلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ص22؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص22؛ نجم، أحكام الرسل، ص21–22.

(2) التابعي، السفارات في الإسلام، ص90؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص24.

(3) ابن الفراء، أبو عليمحمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت، 458هـ/1065م): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1392هـ/1972م، ص48؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص23.

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم القرطبي (ت، 463هـ/1070م): بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م، ج1، ص278.

(5) رسل الملوك، ص 35.

روح المحبة وتقنع المحاورين بحسن التصرف[1]، وهذا مهم لنجاح مهمته ومظهره يدل على مدى الاحترام الذي يكنه المرسل للمرسل إليه في اختيار شخص كامل المواصفات[2]. ومن الصفات التي يراعيها المسلمين في اختيار سفرائهم:

1-**الصفات الجسمية أو الشكلية**: والتي تشمل حسن مظهر السفير من الاسم واللقب ووسامة الوجه وجهور الصوت وجمال المظهر وترتيب الهيئة فالنفس الإنسانية مطبوعة على تعظيم الجمال، مضطرة إلى تكريمه، لما لمظهره من دور كبير في نجاح مهمته[3]. ويؤكد هذا ما فعله الرسول ﷺ والخلفاء من بعده فقد كانوا يختارون رسلهم ممن عُرِفُوا بجمال المنظر وحُسن الخلقة، ومن سفراء النبيﷺ دحية الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه، فقد روي أنه قال: "إذا أبردتم إليَّ بريداً، فابعثوه حسنَ الوجهِ، حسنَ الاسم"[4]. وذلك لأن صورة السفير من نظافة الجسم والملبس الأنيق وترتيب الهيئة والتناسق في ألوان ملابسه ونوعيتها هي أول ما تقع على أنظار الناس ويجب أن تلائم أذواقهم

---

(1) الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص30؛ الفتلاوي، سهيل حسين: الدبلوماسية الإسلامية، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، 2006م، ص176.

(2) عطية، أمال سالم: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14)، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبيد بوداود، جامعة اسطمبولي معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م، ص22.

(3) الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص30؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص25؛ الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، ص171.

(4) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت، 360هـ/970م): المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ت،ج7، ص367-368؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص32.

وعاداتهم[1]. فليس مقبولاً أن يكون السفير دميم الصورة، أو مفرطاً في الطول أو القصر أو فاقداً لأحد أعضاء جسمه ومصاب بعاهة وتشويه أو مهملاً لهيئته وهندامه، وقال ابن الفراء: "يُستَحَبَّ في الرَّسول تمام القدر وعبالة الجسم، حتَّى لا يكون قميئاً، ولا ضئيلاً....."[2]. ويشترط في السفير أن يكون جيد اللسان فصيح البيان بليغ العبارة، فلم يكن مقبولاً عند المسلمين أن يكون السفير ألدغ اللسان سيء النطق، أو ضعيف الرأي متردداً حيناً ومتهوراً أحياناً، ولا يحسن الإجابة إن سئل. كما كانوا يراعون في السفير أن يكون أصيل النشأة، لأن عراقة النسب لا يصدر عنها إلا التصرفات الكريمة. يقول ابن الفراء: وليكن من أهل الشرف والبيوتات، ذا همَّةٍ عالية...."[3].

2- **الكفاءة:** من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في السفير وهي تأتي إلا من الخبرة والتدريب، وكان يشترط أن يكون السفير ذا سياسة فطنة وبصيرة نافذة، يتصرف بحنكة ودراية حسب المواقف دون أن يحييد عن مبادئ دولته، يجمع بين سياسة اللين والشدة المبطنة باللين[4]. فقد يتعرض السفير لمواقف أثناء أداء مهمته تحتاج منه إلى الفطنة والحذر والذكاء وحسن المناظرة حتى يستطيع أن يتصرف بما يعود عليه وعلى مهمته بالنجاح. قال ابن الفراء: "اختر لرسالتك في هُذْنَتِكَ وصُلْحِك ومَهَمَاتِك ومُناظرتك والنيابة عنك رجلاً حَصِيفاً، بليغاً، قليل الغفلة، منتهز الفرصة، ذا رأي جزل، وقول فصل، ولسان سليط..."[5]. ويحتاج إلى الصبر وعدم التسرع في اتخاذ القرار، ويحتاج إلى الحلم

---

[1] ابن الفراء، رسل الملوك، ص35؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، ص30؛ الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، ص181؛ عطية، السفارات في المغرب الإسلامي، ص20-21.

[2] رسل الملوك، ص47.

[3] رسل الملوك، ص34؛ الرحيلي، سليمان: السفارات الإسلامية، ص31؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص25؛ الفرجاني، عمر أحمد: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، دار اقرأ للطباعة والنشر، مكتب الجماهيرية، ط2، طرابلس، 1397هـ/1988م، ص287.

[4] ابن الفراء، رسل الملوك، ص59؛الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص32.

[5] رسل الملوك، ص33؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص306-307؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص28-29.

في مداولاته ومفاوضاته في بلاطات الدول المختلفة فقد يُستفز ويُستثار مراراً، لأن السفير يحاور ويناقش ويتعامل مع من لا يحترمه، كما يحتاج للتوفيق بين دولته والدولة التي أُرسل إليها في أمر شائك كعقد صلح أو غيره والصبر على مشقة السفر ووطأة الاغتراب واختلاف الظروف والمعاش عما تعوده في بلاده بين أهله، قال ابن الفراء: "يحتاج الرَّسول من الحلم وكظم الغيظ ما يحتاج إليه من الصَّبر على طول المكث وتراخي المقام...."[1]. ويجب أن يكون على ثقافة وعلم ومعرفة واطلاع واسع فإنه لسان من أرسله، وصورة من أوفده، وكتابه المفتوح، فإنه بذلك يعطي صورة جميلة عمّن أرسله، وإذا كان جاهلاً لا يعلم من الأمر شيئاً تخبط في حديثه وأساء في عرضه[2]. ويجب أن يكون على معرفة بمسائل العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة كالفرائض والأحكام[3]. وأن يكون عالماً بأحوال الدين والدنيا ليوضح ويدافع ويجادل ويشرح ما قد يسأل عنه حول بعض القضايا، وعارفاً باللغة ليعرف دلالات الألفاظ ودقة معانيها، وعلى معرفة بلغة الدولة الذاهب إليها، وأن يكون على إطلاع واسع بأحوال دولته وعارفاً بدواوين الجند ليعرف مواردها ومركزها الاقتصادي[4]. فالسفير مرآة مرسله وقطعة من عقله وشطراً من رأيه قوة وضعفاً سياسة وغفلة علماً وجهلاً، يقول القائد الأموي المهلب بن أبي صفرة: "إن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع رأيه"[5]. ويقول الشاعر:

إن كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصيه[6]

---

[1] رسل الملوك ص 40؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص33؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص307.

[2] ابن الفراء، رسل الملوك، ص56؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص307.

[3] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص25؛ المنجد، صلاح الدين: النظم الدبلوماسية في الإسلام، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م، ص34.

[4] الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص33.

[5] ابن الفراء، رسل الملوك، ص53؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص34-35.

[6] ابن سلام، محمد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحي (ت، 232هـ/846م): طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج1، ص246؛ ابن سعيد الأندلسي

كما راعى البيزنطيون كل هذه الصفات في اختيار سفرائهم، فإنها لا تختلف كثيراً عن المسلمين من الكفاءة وحسن التصرف والذكاء واللياقة وسعة الثقافة، فقد كان الرومان يختارون سفراءهم من بين الخطباء وكان يسمونهم بالرسل، فقد كان مجلس الشيوخ هو الذي يعينهم ويزودهم بالتعليمات وأوراق الاعتماد[1].

3- **الأخلاق الحسنة**: إن حسن الخلق من أهم الشروط التي يتميز بها السفير لأنها أخلاق الإسلام التي بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ووضع أصولها الرسول ﷺ في سنته وصحابته الكرام في سلوكهم القائمة على الفضيلة والقيم[2]. وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[3]. فحسن خلق السفير يحفظ مكانته الرفيعة واحترامه أمام الآخرين وتقديرهم له، ويعطي صورة حسنة عن دولته وعمّن أرسله ويمثل دينه ووطنه على أحسن وجه، ولذلك لا بدَّ للسفير أن يكون عفيفاً نزيهاً، أميناً، بحيث لا يقبل الرشوة، وأن يكون جيد اللسان لا تبدر منه البذية، كاظماً للغيظ، يؤثر الصدق في القول، يناظر كلًّاً بحسب ما يراه من صوابه وخطئه[4]. فأغلب المصادر تركز على صدق وأمانة السفير حيث يذكر الماوردي: "فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر كامل المخبر صحيح العقل حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللهجة.."[5]، ومن الضروري أن يتصف السفير بالأمانة بعيداً عن الطمع حتى لا يخون مرسله ويؤدي الأمانة التي أُمِّن عليها؛ لأن خيانة الأمانة من الصفات المذمومة في المسلم فهي من

(ت، 685هـ/1286م): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، د.ت، ص223.

[1] الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص35؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص312.

[2] خطاب، سفراء النبي ﷺ، ج2، ص278.

[3] القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية 119.

[4] المهيري، العلاقات الخارجية، ص314.

[5] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت، 450هـ/1058م): نصيحة الملك، تح: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 1403هـ/1983م، ص276.

صفات المنافقين[1]، لان بعض الملوك يحاولون إغراء السفير بالمال لينقاد إلى ما يريدون، وبعض السفراء يضعف أمام المغريات ويخون، ويخبرنا التاريخ أمثلة كثيرة عن خيانة السفراء ومنها خيانة سفير الخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما أرسله ليتفاوض مع إمبراطور الروم على الهدنة، ولما كانت الشروط التي وضعها معاوية قاسية، فقد أغرى ملك الروم سفير معاوية بالمال ليخفف منها فانقاد الرسول لإغراء المال، ولما علم معاوية فيما جرى واطلع على الاتفاق قال: ما أراك إلا عملت لصالحه، وعزل السفير[2]. كما يجب أن يلتزم بأخلاق الإسلام ويبتعد عن كل ما يسيء إلى سلوكه، كأن يقع فريسة للخمر أو النساء، لأنهما يفسدان السفير ومهمته[3]. ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها السفراء القوة في قول الحقيقة حيث يقول ابن الفراء: "والرَّسول مع هذه الأمور محتاج من الإقدام والجرأة إلى مثل ما يحتاج إليه من الوقار والركانة،..."[4].

4-<u>الإسلام</u>: يقوم السفير بمهمته نيابة عن الخليفة فهو يعقد المعاهدات والمفاوضات بشأن العلاقات الخارجية مع الدولة المبعوث إليها، ويطّلع على أمور وأسرار الدولة الإسلامية وشؤونها، وقد تكون له ولاية على بعض المسلمين الذين يعملون معه في السفارة، وإذا بعثت الدولة الإسلامية سفيراً غير مسلم من أهل الذمة مثلاً فإنها تضع معه من المساعدين المسلمين فتكون له ولاية على المسلمين وهذا غير جائز شرعاً[5]، لقوله تعالى: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**[6]. كما وردت العديد من آيات القرآن الكريم التي تدل على عدم مشروعية تولية وإيفاد السفراء غير المسلمين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ**

---

(1) حميدية؛ عليان: السفراء والدبلوماسيون، ص42-43.

(2) عفيفي، محمد صادق: تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1905م، ص70؛ الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص287-288.

(3) المهيري، العلاقات الخارجية، ص315؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص44.

(4) رسل الملوك، ص36.

(5) المهيري، العلاقات الخارجية، ص299؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص26.

(6) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 141.

تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا[1]. ولذلك فإن أهل العلم قالوا بعدم تولية غير المسلم لمهام السفارة، لأن السفير يقوم بحمل رسالة الإسلام فالنبي ﷺ عندما قرر بعث كتبه إلى مختلف الحكام بعثها مع سفراء يحملون جملة من الصفات أهمها الإسلام[2]. ومضت سنّة الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم في منع تولية غير المسلمين أمراً من أمور المسلمين[3]. فقد كتب الخليفة عمر ﷺ إلى عماله: "فإنَّه من كان قبله كاتبٌ من المشركين، فلا يُعاشره ولا يوازره ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه، فإنَّ رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم، ولا خليفتهُ من بعده". وورد عليه كتاب معاوية بن أبي سفيان: "أما بعد يا أمير المؤمنين فإن في عملي كاتباً نصرانياً لا يتمّ أمر الخراج إلا به، فكرهت أن أقلده دون أمرك. فكتب إليه: عافانا الله وإياك قرأت كتابك في أمر النصراني، أما بعد: فإن النصراني قد مات والسلام"[4]. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله في الآفاق: "فلا أعلمنَّ أنَّ أحداً من العمال أبقى في عمله رجلاً متصرِّفاً على غير دين الإسلام إلَّا نكَّلت به، فإنَّ محو أعمالهم كمحو دينهم"[5].

---

(1) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 144.

(2) حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص27.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت، 751هـ/1350م): أحكام أهل الذمة، تح: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، ط1، الدمام، 1418هـ/1997م، ج1، ص208؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص305.

(4) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج1، ص455؛ الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمد: محمد: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، د.م، 1407هـ/1987م، ج2، ص792–793؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص304.

(5) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج1، ص458؛ الشحود، علي بن نايف: الخلاصة في حكم الاستعانة بالكفار في القتال، ط1، 1432هـ/2011م، ص18.

ثالثاً: مراسم استقبال السفراء:

منذ أن قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة والمسلمين يستقبلون رسل غيرهم بالتقدير والإكرام، فكان النبي ﷺ يستقبلهم في الجامع الكبير بالمدينة[1]. وكان هو والصحابة يلبسون أحسن الثياب عند استقبالهم، ويحرص على إكرامهم ورعايتهم. واتبع الخلفاء الراشدون سَنَة النبي ﷺ، فلم يعرض عنها غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي آثر التمسك بالبساطة، وخير مثال واقعة سفير الروم الذي جاء يلقي عمر رضي الله عنه فوجده نائماً تحت ظل شجرة في بساطته المعهودة، فقال كلمته المأثورة: "حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر"[2]. ولكن عمر رضي الله عنه كان في بعض المواطن غير متقيد بما انتهجه لنفسه، فقد خصص لمعاوية أثناء ولايته على الشام عشرة آلاف دينار في السنة، وذلك اعتباراً لمكانته بالمقارنة مع ولاة الفرس والروم أصحاب المظاهر العالية. فلا بد من زيادة راتبه حتى يظهر قوة الدولة الإسلامية ويَرهب الخصوم[3]. وعندما رحل عمر رضي الله عنه إلى الشام استقبله معاوية في أبهة الملك، فاستنكر عمر ذلك وقال لمعاوية: "أكسروية يا معاوية"، فقال: يا أمير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد

---

[1] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص28؛ عفيفي، محمد الصادق: المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص228؛ الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص289.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت، 505هـ/1111م): التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1409هـ/1988م، ص17؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص28-29.

[3] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت، 845هـ/1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ج1، ص180؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص29؛ عفيفي، تطور التبادل الدبلوماسي، ص100.

حاجة، فسكت الخليفة ولم يخطئه أو ينهاه عن ذلك لما احتج عليه بمقصد، وهدف من مقاصد وأهداف الحق والدين[1].

وكان يحدث تبادل للهدايا بين الوفد القادم وبين المسلمين، ونذكر من ذلك تلك الهدية التي بعث بها هرقل قيصر الروم مع دحية الكلبي مبعوث الرسول ﷺ. وكذلك الهدية التي بعثت بها أم كلثوم بنت علي، وزوجة عمر بن الخطاب ﷺ إلى زوجة إمبراطور الروم، فبعثت زوجة الإمبراطور هدية فخمة إلى امرأة عمر ﷺ، ولكن عمر ﷺ أمر بمصادرة الهدية وردها إلى بيت مال المسلمين وأعطاها بقدر نفقتها[2]. وكان السفراء ومرافقيهم ينزلون ضيوفاً على الدولة الإسلامية في مكان خاص لهم، أياً كانت صفة الدولة التي أرسلتهم من الصداقة أو العداوة، وقد تجلت مظاهر الفخامة في الاحتفاء بالسفراء في العصر الأموي، فخصصت لهم داراً للضيافة ينزلون بها، وكان أول من بناها الوليد بن عبد الملك للوافدين عليه[3].

رابعاً: مهام السفراء:

كان للسفراء جملة من المهام عليهم القيام بها تختلف حسب ظروف الدولة في السلم والحرب والعلاقات التي تربطها بالدول المجاورة لها، ولذلك عندما يتم إيفاد الرسل والسفراء فإنه يقوم بإحدى المهام التالية:

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، ص254؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص29؛ الصلابي، علي محمد: معاوية بن أبي سفيان ـ شخصيته وعصره، دار الأندلس الجديدة، ط1، مصر، 1429هـ/2008م، ص47.

[2] الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت، 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، د.ت، ج4، ص260؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م، ج2، ص469؛ عفيفي، المجتمع الإسلامي، ص229.

[3] المنجد، صلاح الدين: معجم بني أمية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1970م، ص191؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص29؛ الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص289.

1- **الدعوة إلى الإسلام**: السفراء يقومون بمهمة عظيمة لدى الدول التي أُفدوا إليها تتمثل بنشر الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الله وبيان فضائل هذا الدين، وقد استخدم النبي ﷺ السبل والأساليب كافة لتحقيق هذه الغاية. ويُعد الصحابي مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام، فقد بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الثانية، ليُعلِّمهم الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، فانتشر الإسلام في دور الأنصار كلها[1]. وسارت العهود الإسلامية الأخرى على هذا المنهج فجعلت من الدعوة الإسلامية هدفاً لإرسال السفراء، فأثمر ذلك عن دخول زعماء ودول في دين الله وأصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية[2]. وهناك نوعية من المراسلات تتضمن جدلاً دينياً بين العرب والبيزنطيين، فقد كان الخلفاء العرب يبادرون إلى دعوة الملوك لاسيما البيزنطيين إلى اعتناق الإسلام، فيضطر هؤلاء إلى الرد عليهم في شكل حوارات دينية. أما الأباطرة البيزنطيين بعد هرقل لم يكترثوا كثيراً بالدعوة الإسلامية، واعتبروها خروجاً عن الكنيسة الأم[3].

2- فداء أو تبادل الأسرى: لما كانت العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي مبنية على السلم والحرب، ففي حالات الحرب يكون هناك أسرى بين الطرفين المسلمين وغير المسلمين، وهذا ما يجعلهم يطالبان باسترجاع أسراهم بمال أو نحوه، أو إطلاق سراحهم مقابل سراح عدد من أسرى الأعداء مثل ما فعله الرسول ﷺ في غزوة بدر فقد جعل فداء الأسير مقابل مبلغ من المال يتفاوت بحسب يسار الأسير وقدرة أسرته[4].

---

(1) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت، 230هـ/845م): الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ/1990م، ج3، ص87؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص36؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص290-291؛ عنان، محمد عبد الله: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، الناشر حسين العنان، ط5، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص208؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص34.

(2) المهيري، العلاقات الخارجية، ص319.

(3) رستم، أسد: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط1، بيروت، 1955م، ج1، ص237-239.

(4) ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي (ت، 734هـ/1333م): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، ط1،

3-<u>الاستنفار للجهاد</u>: مارست السفارات الإسلامية دوراً كبيراً في صد العدوان الخارجي على البلاد الإسلامية. ومثال ذلك سفارة معاوية إلى الخليفة عثمان ﷺ عام 24هـ/644م، عندما جاءت الروم لتهجم على الشام، فكتب عثمان ﷺ إلى الوليد بن عقبة بإمداد معاوية بثمانية آلاف أو أكثر، فخرج ثمانية آلاف من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم[1].

4-<u>التفاوض</u>: المفاوضات مهمة لربط العلاقات الخارجية،وهي مفاوضات خاصة وغير رسمية ورسمية. فعندما استقر الرسول ﷺ في المدينة عقد صلحاً دائماً مع طوائف المدينة ووفق بين الأوس والخزرج، وأقر اليهود على دينهم وأموالهم[2]. وبعد ذلك استمرت السفارات تؤدي دورها في التفاوض لعقد المصالحات ومن ذلك صُلح عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل أيليا[3]، وصلح معاوية مع الروم عام 42هـ/662م[4].

5-<u>عقد المحالفات</u>: قامت السفارات بدور كبير في عقد المحالفات للمحافظة على بقائها وسلامة كيانها من الأخطار التي تهددها وتتعارض مع مصالحها لا سيما التحالف بين الأمويين وملوك بيزنطة[5].

6-<u>تقوية الصلات وتوطيد العلاقات</u>: وذلك عن طريق نقل التهاني والتعازي، وكانت تسمى بسفارات المجاملات إذ جاءت بعد استقرار الدولة الإسلامية وتوقف الفتوحات وإبرام المعاهدات بين المسلمين وغيرهم، فعندما يتوفى أحد الحكام يتوافد رؤساء الدول أو

بيروت، 1414هـ/1993م، ج1، ص332؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، 38-39؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص37.

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص247-248؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص40-41.

(2) المهيري، العلاقات الخارجية، ص320؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص41-42.

(3) حميد الله، محمد الحيدر آبادي الهندي: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط6، بيروت، 1406هـ/1985م، ص474.

(4) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت، 279هـ/892م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص155؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص44.

(5) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص44-45؛ المنجد، النظم الدبلوماسية في الإسلام، ص112.

سفرائهم للاشتراك في الجنازة وتقديم التعازي[1]. كما كانت تسعى إلى توطيد العلاقات الدولية عن طريق المصاهرة بين الحكام لزيادة التقارب والترابط الأسري، وذلك ما عُرف بسفارات الزواج، ووُجد نوع من السفارات يهدف إلى إظهار الود والاحترام عُرف بسفارات الهدايا، التي حظيت باهتمام وعناية خاصة، للاعتراف بسيادة المرسل إليه واستمالة عطفه[2].

7-<u>التجسس</u>: كان الرسول ﷺ أول من استخدم السفراء للتجسس في الدولة الإسلامية، ومنهم رسله إلى بنو قُرَيْضة في غزوة الأحزاب للتأكد من بقائهم على العهد أو نقضه، وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على خطى الرسول ﷺ عندما استخدموا سفراء يجيدون لغة العدو، لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات لاسيما في عهد الخليفة عمر ﷺ[3]. وفي العصر الأموي تم إرسال السفارات للتجسس لاسيما تلك التي بعثها يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ/720م إلى بيزنطة، فقد عرفوا كيف تحمي بيزنطة سكانها المدنيين عندما يهاجموا المسلمين بإقامة ملاجئ تحت الأرض تسمى المطامير[4]، كما أن العدو كان يبعث برسله للتجسس على المسلمين مثل السفارة التي بُعثت في عهد معاوية من أجل التعرف على الاستعدادات التي يقوم بها المسلمين ضدهم، وغيرها من السفارات التي تهدف إلى معرفة أخبار الدولة الإسلامية[5].

8-<u>متابعة ومراقبة أحوال وظروف الدول التي يرسلون إليها</u>: يعمل السفير على تتبع ومراقبة حالة الدولة الموفد إليها ورفع تقارير عنها إلى دولته في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية...إلخ[6]. وذلك لحماية دولهم من أن تؤخذ على حين غرة دون

---

(1) التابعي، السفارات في الإسلام ص 51؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص323.

(2) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص46-48.

(3) حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص38-39.

(4) فرحات، كرم حلمي: تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، مكتبة الإمام البخاري، ط1، مصر، 1428هـ/2007م، ص337؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص39.

(5) فرحات، تاريخ المخابرات، ص350؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص39.

(6) المهيري، العلاقات الخارجية، ص322.

فكثير من الدول تظهر حسن النية والرغبة في المصالحة، ولكن حقيقة الأمر تعد العدة وتدرب الجيش وتسلحه استعداداً لخوض حرب جديدة[1].

9-التبادل الثقافي: اتسعت دائرة السفارات فشملت الإحاطة بكافة المعارف العلمية ونقل مناحي الثقافة إلى المسلمين، دون الاكتراث إلى ما يقف في سبيل ذلك من صعاب أو يعترضها من مخاطر ومشقات[2].

10-الصلح والمهادنة: عندما تقوم الحروب بين الدول ينتج عنها آثار كالأسرى والمفقودين والأضرار المادية، هذا يدفعهم للقيام بمفاوضات للصلح[3]. فقد قامت السفارات الإسلامية بدور كبير في جمع شمل الصف الإسلامي، وإزالة ما بين الحكام من نزاعات وخلافات وذلك وإجراء المصالحات بينهم[4].

11-الإعلام بتغيير الحاكم: شملت أغراض السفارة أيضاً أن ترسل الدول الإسلامية رسلاً إلى الحكام الآخرين تعلمهم بوفاة ملك وقيام آخر[5].

12-حماية مصالح دولته: عن طريق اتخاذ كافة الوسائل لتأمين حماية مواطني دولته المقيمين لدى الدولة الأخرى من أي اعتداء، كما يتخذ الأسباب التي تكفل لهم الوصول إلى مكان آخر يأمنون فيه[6].

خامساً: حقوق السفراء ومعاملتهم:

منح الدين الإسلامي السفراء الأمان والحماية لمجرد دخولهم دار الإسلام فلا يجوز التعرض لهم بالأذى أو القتل[7]. ولم يعرف السفراء حسن المعاملة من الاحترام والحماية إلا في الدولة الإسلامية، فلم يكن قبل الإسلام نظاماً ثابتاً لمعاملتهم، بل كان يتم وفقاً لما

---

(1) الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص281-282.

(2) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص50.

(3) المهيري، العلاقات الخارجية، ص322.

(4) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص50.

(5) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص52.

(6) المهيري، العلاقات الخارجية، ص321.

(7) عطية، السفارات في المغرب الإسلامي، ص26.

تقره الدولة التي بُعث إليها، فإذا رأت في إكرامه مصلحة لها، كان نصيبه من المعاملة أحسنها، أما إذا رأت غير ذلك فإنها تعامله معاملة سيئة وتعذبه وتذله وتهينه، وتمتلئ صفحات التاريخ بنماذج من سوء المعاملة لاسيما زعماء الفرس والروم، فقد قام نقفور ملك الروم بحرق أوراق اعتماد سفير طرطوس على رأسه حتى أصيبت لحيته، وقال له امض ما عندي إلا السيف[1].

1- <u>الحرمة الشخصية</u>: هناك الكثير من الأمثلة الدالة على مظاهر تكريم وحسن معاملة السفراء، فقد أكرم الرسول ﷺ سفير قيصر حين جاء إليه في تبوك وقال له: "إنَّك رسول قوم وإنَّ لك حقاً، ولكن جئتنا ونحن مُرملون" فقال عثمان: "أنا أكسوه حُلَّة صَفُوريَّة، فقال رجلٌ من الأنصار: عليَّ ضيافته[2]. وللمبعوث الحق في ممارسة حريته الشخصية بما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية في الدول التي يوفد إليها. فلا يجوز لأحد في دار الإسلام الاطلاع على رسائلهم الشخصية أو السرية، لأن الشريعة الإسلامية تنظر إلى السفراء باعتبارهم مستأمنين في دار الإسلام، فلهم حق التمتع بما يتمتع به المستأمنين من حقوق[3].

2- <u>حرية التجارة والامتيازات المالية</u>: كفل الإسلام للمبعوث ممارسة العمل التجاري بشرط أن لا يترتب على ذلك إلحاق مفسدة بالمسلمين، كما يُعفى السفراء من العشور

---

[1] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت، 748هـ/1348م):العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بن بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص93؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص292-293.

[2] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت، 241هـ/856م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م، ج27، ص245؛ كرمي، أحمد عجاج: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار السلام، ط1، القاهرة، 1427هـ/2007م، ص133.

[3] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص32-33؛ الربيع، وليد خالد: الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الفقه الإسلامي والقانون الدولي (دراسة مقارنة)، جامعة الكويت، مجلة الفقه والقانون، ص18.

والضرائب، فلا يؤخذ منهم سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين عشوراً، وقال أبو يوسف: "لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم، ولا من الذي أعطي أماناً عشراً، إلا ما كان معهما من متاع التجارة"[1]. وكان المسلمون يسمحون بدخول ما يحمله السفراء من أمتعة وغيرها معفاة من الضرائب، إلا أنه لا يسمح للسفراء بإدخال سلاح ونحوه أو مشروبات محرمة كالخمور لأنها محرمة في بلاد المسلمين ولا يسمح لهم بحمل سلاح ونحوه عند خروجهم[2].

3-**حسن المعاملة:** يجب أن يُعامل السفير بأحسن معاملة لأنه لا يمثّل نفسه وإنما يمثّل دولته ومن أرسله، من خلال احترامه السفير وتقديره والحفاوة التي يُستقبل بها وحسن القبول لما يحمل من رسالة، وكان النبي ﷺ قدوة في ذلك فقد أكرم سفير ملك الروم حين جاء إليه في تبوك. فكان يتم استقبالهم بكل صور الزينة والجمال وتهيئ لهم أسباب الراحة أثناء إقامتهم وظهر ذلك واضحاً في الدولة الأموية والعباسية[3].

4-**حرية العقيدة والعبادة:** يحق للدولة الإسلامية عرض الإسلام على من يفد إليها دون إكراه على اعتناقه، وكانت الوفود تفد إلى النبي ﷺ فيدعوها إلى الإسلام ولا يعنف أحداُ أو يلومه إذا لم يؤمن، فقد سمح ﷺ لوفد نصارى نجران بأداء شعائرهم الدينية في مسجد المدينة. كما كفل الإسلام للسفراء حرية العبادة والالتزام بدينهم وأداء شعائرهم الدينية بما لا يخل بالنظام الإسلامي على أن لا يظهر ذلك علناً[4].

---

[1] أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت، 182هـ/798م): الخراج، تح: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت، ص205؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص32؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص324-325؛ الربيع، الحصانات والامتيازات، ص23.

[2] أبو يوسف، الخراج، ص206؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص45؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص31-32؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص330-331.

[3] المهيري، العلاقات الخارجية، ص325-326.

[4] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت، 213هـ/828م): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة،

5- حرية التنقل والإقامة: يحق للسفراء ممارسة حرياتهم كاملة في التنقل داخل دار الإسلام، ولهذا تسعى الدول إلى تأمين إقامة الرسل والمبعوثين من خلال توافر أماكن الإقامة أو مساعدتهم في السعي للحصول على هذه الأماكن، والفقه الإسلامي لا يعارض حرية المبعوث في التنقل مع مراعاة الضوابط ومراعاة أحكام الحرم المكي من حيث عدم جواز دخول غير المسلمين إليها أو إقامتهم فيها[1].

6- حرية الاتصال: أعطى الإسلام للسفراء الذين يوفدون إلى الدولة الإسلامية الحرية التامة في العودة إلى بلادهم أو إلى من أوفدهم لتلقي التعليمات منه[2].

7- حرية المشاركة في الحياة الاجتماعية: لاسيما المناسبات كالأعياد والحفلات والولائم وغيرها للتعرف على طبيعة المجتمع وعلى المسؤولين وكبار الموظفين مما يساعده في أداء مهمته. والفقه الإسلامي لا يعارض هذه المشاركة ما دامت خالية من المخالفات الشرعية كاختلاط الرجال بالنساء وغيرها[3].

سادساً: واجبات والتزامات السفراء:

في مقابل ما قرره الإسلام للسفراء من حقوق فإنه من الطبيعي أن يترتب عليهم بعض الالتزامات التي يتطلبها أمن النظام الإسلامي وصيانة عقيدته وعلى هذا فإن الرسل والسفراء يلتزمون بالأمور الآتية:

1- **احترام المعتقدات الإسلامية وعدم التعرض لدين الدول المبعوث إليها:** وذلك بعدم فعل أي شيء يمس بالإسلام وتعاليمه وشعائره وتقاليده، وإذا كانوا من رسل الدول الإسلامية فإنهم يلتزمون باحترام تقاليد وعادات البلاد التي يذهبون إليها بشرط عدم مخالفة التعاليم الإسلامية، مثل السجود لرؤساء الدول التي أرسلوا إليها، وأكل لحم الخنزير

1375هـ/1955م، ج1، ص574؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص31-32؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص327-329؛ الربيع، الحصانات والامتيازات، ص19.

(1) سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص31؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص329؛ الربيع، الحصانات والامتيازات، ص20.

(2) المهيري، العلاقات الخارجية، ص331-332؛ الربيع، الحصانات والامتيازات، ص21.

(3) المهيري، العلاقات الخارجية، ص329-330؛ الربيع، الحصانات والامتيازات، ص22-23.

وشرب الخمر[1]. كما أن من واجب السفراء أن لا يتعرضوا لدين الدول التي يبعثون إليها بالنقد أو الاستهزاء أو السخرية واحترام العادات والتقاليد لأن ذلك يؤدي إلى سوء العلاقة بين الدولتين، وهذا في الوقت نفسه لا يمنعه من أداء دوره في الدعوة الإسلامية وبيان فضلها ومحاسنها[2].

2- **عدم التدخل في شؤون الدولة الخاصة المرسلين إليها واحترام قوانينها**: فقد عدوا التدخل في شؤون غيرهم نقضاً للعهد وغدراً يجب على المسلمين أن يتجنَّبوه، فلا ينبغي أن يحرضوا الحاكم على الرعية، أو أن يتصلوا بالأشخاص المعادين لحكام هذه الدول، أو إفساد الموظفين بالرشاوى أو غيرها[3].

3- **عدم إساءة استعمال الامتيازات**: السفير يتمتع بامتيازات كثيرة كالإعفاءات المالية والحصانة، فعليه أن يحترم هذه الامتيازات ولا يستغلها لمصلحته الذاتية ويتهرب من القوانين[4].

سابعاً: بوادر السفارات العربية الإسلامية إلى بيزنطة

إن التقارب بين الدول والمجتمعات يفرض التواصل من أجل التبادل وربط أواصر العلاقات بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية وهذا ما يسهم مساهمة فعالة نحو التفاهم والبحث عن التطور والرقي الاجتماعي بنبذها للصراع والحروب والعمل على بناء الحضارات. فقد عرفت السفارة كنظام هام لربط العلاقات منذ الأزمنة الإنسانية، إذ ان الطبيعة البشرية تقتضي التعامل والتقارب، حيث قاموا بإرسال السفراء إلى بلاطاتهم الذين كانوا يعدون الممثلين الرسميين لدولهم في العهود اليونانية والرومانية وقد عرف العرب

---

[1] الزيد، صالح بن عبد الكريم: أحكام عقد الأمان والمستأمنين في الإسلام، الدار الوطنية لنشر الكتب، ط1، الرياض، 1406هـ/1985م، ص115؛ سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص33-34.

[2] عفيفي، المجتمع الإسلامي، ص228-229؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص333.

[3] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص34؛ المهيري، العلاقات الخارجية، ص332-333.

[4] المهيري، العلاقات الخارجية، ص334.

نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة بوصفها ثمة بديل للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة العربية ولتبادل المنافع مع جيرانهم لاسيما في الشرق والشمال[1].

فقد اهتم الإسلام بتنظيم شؤون المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية، واهتم بتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من الشعوب والدول، حيث أن الدولة الإسلامية ليست دولة منعزلة أو مغلقة، بل هي دولة مفتوحة ومؤثرة وليست متأثرة بالآخرين؛ لأنها تحمل أعظم رسالة وهي رسالة الإسلام، وهي دولة عقيدة ودعوة، ولتأدية واجب الدعوة إلى الله كان على الدولة الإسلامية أن تمد جسور العلاقات الخارجية مع غيرها من الدول وفق المنهج الإسلامي حتى تتقرب هذه الدول حكاماً ومحكومين من هذه الدعوة وهذه الرسالة، ثم تحدد موقفها من تلك الدعوة إما بالاستجابة والدخول في عالم الإسلام أو بالمهادنة والسماح للمسلمين بتبليغ دعوتهم للناس، كما أمر الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة دون إكراه أو قهراً. وحين تقوم الدولة الإسلامية علاقات خارجية مع أية دولة؛ فإنها لا تقيم تلك العلاقات لتحقيق مصالح مادية أو تنظيم شؤون حياتها الخارجية. وإذا كان ذلك من أهدافها؛ إلا أنها تقيم علاقاتها الخارجية من أجل تحقيق مبدأ القيام بالدعوة إلى الإسلام، وفي ضوء تبليغ الناس رسالة الله[2]. فبعد انتشار الإسلام أصبحت السفارات وسيلة فعّالة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدولة الإسلامية التي وطد دعائم أركانها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ، وتقوم على نشر تعاليم الإسلام وعقد المعاهدات مع الدول المجاورة[3]. وأول من سن السفارة في الإسلام الرسول ﷺ عندما بعث سفراءه ليحملوا رسائله إلى أباطرة البلدان القريبة من بلاد العرب وملوكها، فبعث سفراءه إلى كسرى ملك فارس وإلى هرقل عظيم الروم وإلى النجاشي ملك الحبشة وإلى المقوقس حاكم

---

[1] عبد الرحمن، عبد الرحمن محمد: الدبلوماسية الإسلامية، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2006م، ص33.

[2] المهيري، العلاقات الخارجية، ص5-6.

[3] عطية، السفارات في المغرب الإسلامي، ص34.

مصر يدعوهم إلى الإسلام[1]. وقد ازدهر هذا الاتصال في العصور الإسلامية التالية واتسعت أهدافه ليشمل قضايا الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم، وأصبح لهذا الاتصال رجاله ومراسمه وقواعده. فقد عرف تاريخ العلاقات الإسلامية البيزنطية تبادل الوفود والسفارات منذ وقت مبكر في السنوات الأولى من قيام دولة الإسلام في المدينة في عهد الرسول ﷺ فقد أرسل عليه السلام وفداُ يحمل رسالته الشهيرة إلى قيصر الروم هرقل (610–641م) وكان رئيس ذلك الوفد الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي وهو أول مبعوث بعثه الرسول إلى الإمبراطور البيزنطي هرقل حاملاً معه كتابه الكريم الذي يدعوه فيه للإسلام[2]. وهذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين....»[3]. نستلخص من هذه الرسالة بأنها ليست دعوة

---

[1] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت، 852هـ/1448م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ/1959م، ج8، ص128؛ التويجري، عبد العزيز بن عثمان: الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1430هـ/2009م، ص13.

[2] ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص242؛ عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص302؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص206.

[3] ينظر نص الرسالة عند: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت، 256هـ/870م): صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ/2002م، ج1، ص8؛ الطبري، تاريخ، ج2، ص649؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص93؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص266؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص362؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص220؛ الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص26–27؛ الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط7، بيروت، 1429هـ/2008م، ص714–715؛ حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيين، ص14–15. هناك صيغة ثانية لنفس الرسالة المنسوبة للرسول ﷺ لهرقل والتي أوردتها بعض المصادر لأنها صيغة تتعارض مع الأولى في توجهاتها السلمية، وتحوي جملة من التلميحات باستعمال

للإسلام فحسب، بل هي دعوة للسلام أيضاً، كما هي دعوة للحوار والتفاهم على أساس قيم أخلاقية دينية مشتركة، إذ أنها لم تستهدف سلب سلطة أو طمع في احتلال أرض، بل هي دعوة للتواصل عن طريق نشر الحق والفضيلة. كما أنها لا تحمل نزعة الاستعلاء وتصغير الآخر، بل تنطق من مبدأ المساواة المطلقة، واحتوت هذه الرسالة على لغة خاصة تنطوي على قاعدة الاحترام والتقدير، فقد استعمل الرسول ﷺ مجموعة من الجمل التعبيرية التي تحترم وتقدر المخاطب وترفع من شأنه، كما تجنح الرسالة النبوية للإمبراطور البيزنطي نحو تحبيب الرسالة الإسلامية إلى قلبه دون تهديد أو إكراه، وهو ما تدل عليه عبارة «أسلم يأتك الله أجرك مرتين». ناهيك عما تحويه من أسلوب خاص ينطق بالنصح والموعظة الحسنة، بعيداً عن أي شكل من أشكال التلاسن أو القذف أو الشتم والتهديد، تاركاً لهرقل حرية التفكير وتحكيم ضميره وصفاء إنسانيته. ومهما يكن، فقد اتسم رد فعل هرقل تجاه هذه الرسالة بالطابع الودي الذي ينم عن كثير من الحكمة والميل نحو الود والسلم. ولا نرى صحة مقولة أحد الباحثين[1] من أن الإمبراطور البيزنطي «لم يعن بالرسالة الموجهة إليه، فكان هذا بداية الحرب بين العرب والروم». فعلى العكس تثبت الشواهد التاريخية أن هرقل أولى عناية خاصة للرسالة النبوية، فقد تَمّ بها استقبال المبعوث النبوي من قبل العاهل البيزنطي بحفاوة كبيرة، فلم يمزق الكتاب كما فعل كسرى فارس، بل تعامل مع السفير العربي المسلم بكل احترام وتقدير كما تدل على ذلك الكلمات التالية التي جاءت على لسان مبعوث الرسول ﷺ: «وجهني رسول الله إلى ملك الروم بكتابه وهو بدمشق، قال فناولته كتاب النبي، فقبَّل خاتمه، ووضعه تحت شيء كان عليه قاعداً ثمَّ نادى، فاجتمعت البطارقة وقومه،... ثم خاطب أصحابه فقال: هذا كتاب النبي

العنف والتهديد التي لا تتلاءم مع روح الإسلام ولا مع شخصية النبي الداعية للسلام. أورد نص هذه الرسالة حميد الله، مجموعة الوثائق، ص110 اعتماداً على بعض المصادر.

[1] يوسف، جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1984م، ص110.

الذي بشَّر به المسيح من ولد إسماعيل بن إبراهيم»[1]. نستنتج من هذا النص بأن الإمبراطور هرقل أولى كل الاحترام والعناية والتقدير للسفير ولموضوع السفارة تقديراً للرسول، وللنبي وكتابه، وهو ما تعكسه عبارة «فقبّل خاتمه» التي جاءت كرمز ودليل على هذا التقدير والاحترام. كذلك كتاب الرسول الذي وضعه تحت شيء كان يقعد عليه كعلامة دالة على الاهتمام الذي خصه به[2]، كما أنه بعث في هذا الأمر إلى أسقف كان يعتبره من أكبر المستشارين ممن يعتد برأيهم، وقرأ عليه الكتاب، ولما تأمله هذا الأخير تأملاً دقيقاً أسدى له النصح باعتناق الإسلام. ويبدو حسب بعض الروايات أن الإمبراطور البيزنطي كان يعتزم القيام بهذه الخطوة الجريئة لولا تخوفه من ردّ فعل المجتمع البيزنطي[3]. وفي رواية أخرى أنه جمع أعيان دولته في دسكرة[4] وناقش معهم موضوع الرسالة النبوية، وخلال هذا الاجتماع أبدى اعترافه وإقراره بنبوة محمد ﷺ، فتبرّم منه

---

[1] الختلي، إسحاق بن إبراهيم بن سنين (ت، 283هـ/896م): الديباج، تح: ابراهيم صالح، دار البشائر، ط1، د.م، 1994م، ص34؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (ت، 733هـ/1333م): نهاية الأرب في فُنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 1423هـ/2002م، ج16، ص151؛ ابن حديدة، محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري (ت، 783هـ/1381م): المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تح: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج2، ص85؛ ابن المبرد الحنبلي، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي (ت، 909هـ/1503م): محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة النبوية، 1420هـ/2000م، ج1، ص232.

[2] أورد الطبري نصاً آخر يذكر أنه وضع الكتاب بين فخذيه وخاصرته. تاريخ، ج 2، ص646-649.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م، ج2، ص552.

[4] **دسكرة:** بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم. ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص285.

المجتمعون، فلما تأكد له معارضتهم لفكرته، استخدم ذكاءه في مراجعتهم وتأويل قراره بأنه كان يستهدف التأكد من رسوخ إيمانهم والثبات على عقيدتهم[1].

وليس هناك نص كتابي لهرقل على رسالة النبي ﷺ، فقد اكتفى بجواب شفهي يبدي فيه احترام الرسول ﷺ واعترافه بنبوته، وتقديره للدعوة الإسلامية إلى درجة أنه تمنى أن يدخل الإسلام لولا خوفه من رد الفعل العنيف من الكنيسة والمجتمع البيزنطي. ويبدو أن الرواة الذين أوردوا نص رسالة جوابية كتابية زعموا أن هرقل بعثها للنبي ﷺ يعلن فيها اعتناقه للإسلام، فيه كثير من المبالغة[2]، لذلك عدَّ أحد الباحثين هذا الزعم «من شطحات خيال بعض المؤرخين»[3]. وفي المقابل بعث الإمبراطور هرقل بدوره سفارة إلى الرسول ﷺ وهو بتبوك مع مبعوث خاص له يدعى التنوخيَّ قرأها على مسامعه معاوية بن أبي سفيان. ذكر ابن سلام أنه لم يذكر فحوى الرسالة التي تمكننا من معرفة ما إذا كانت هي الرسالة الجوابية على الرسالة التي حملها إليه دحية بن خليفة الكلبي، أم أن

---

[1] الطبري، تاريخ، ج2، ص649؛ الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت، 407هـ/1016م): شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية، ط1، مكة، 1424هـ/2003م، ج4، ص15؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت، 458هـ/1065م): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405هـ/1984م، ج4، ص384؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد (ت، 597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992م، ج3، ص280؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1413هـ/1993م، ج2، ص507؛ ابن كثير: السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة، بيروت، 1395هـ/1976م، ج3، ص498.

[2] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأَصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ/1992م، ج2، ص461.

[3] سالم، عبد الرحمن أحمد: المسلمون والروم في عصر النبوة، دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/1997م، ص77.

الأمر يتعلق برسالة أخرى. وأياً ما كان الأمر، فيتضح من خلال سياق الخبر أنها رسالة تتضح بمعاني الود والاحترام والرغبة في السلام وتوطيد العلاقة مع العرب، فقد استقبل المبعوث البيزنطي بحفاوة كبيرة من جانب المسلمين، وأهديت له هدية نفيسة من قبل عثمان بن عفان كرمز للتقدير الذي يكنونه للإمبراطور البيزنطي ولمبعوثه الذي بقي في ضيافة أحد الأنصار مدة لم تحددها المصادر، ولكن الرسالة لا تتضمن أي إشارة حول إسلام هرقل[1].

فتبادل الرسل والسفراء من أهم وسائل التعارف بين المجتمعات فقد كان الرسول ﷺ يبعث الرسل ويتلقاها بأحسن هيئة ويكرمها ويكف عن قتل مبعوثيها. فسار خلفاؤه من بعده على نهجه واستمر ذلك أسلوباً من أساليب التعاون والتبادل حتى أخذت السفارة صفة العادة السنوية مع بعض الدول. وغير خاف أن الرسول ﷺ كان رجل سلام دون منازع، إذ لم ينهج الأسلوب الحربي إلا للدفاع عن النفس وتأمين حرية الدعوة الإسلامية. فمنذ بداية اتصالاته الأولية مع الروم البيزنطيين، أرسل إلى يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة يدعوه إلى الإسلام أو إعطاء الجزية، مذكراً إياه كذلك بوحدة الديانات السماوية والرسل فعقد معه صلحاً مقابل جزية حددت في ثلاثمائة دينار سنة 9هـ/630م[2]، كما صالح أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل الذي كان نصرانياً على أن يدفع له جزية

---

[1] ابن سلام، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت، 224هـ/838م): كتاب الأموال، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ص325؛ حميد الله، مجموعة الوثائق، ص114.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص525؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص67-69؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج5، ص247؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص148؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، ص29؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص267؛ حميد الله، مجموعة الوثائق، ص115-116؛ خطاب، الرسول القائد، دار الفكر، ط6، بيروت، 1422هـ/2001م، ص401-402؛ رستم، الروم، ج1، ص238؛ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، د.م، 1422هـ/2001م، ج7، ص249: كرمي، الإدارة في عصر الرسول، ص156؛ دعاه المسعودي أسقف إيلة. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، 346هـ/958م): التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت، ص236.

سنوية، بعد أن أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الرسول ﷺ فحقن دمه[1]. كما وجه الرسول ﷺ رسالة تفيض بمعاني الحب والسلام إلى ضغاطر[2] أسقف البيزنطيين بالقسطنطينية، يؤكد فيها عليه السلام على وحدة الأنبياء والرسل[3]. أما الحملات العسكرية التي بعثها لخوض غمار المعارك مع البيزنطيين، فلم تكن إلا نتيجة لفشل جهود السلام معهم.

ثامناً: السفارات بين العرب والبيزنطيين في العصر الراشدي

لم يتوقف اهتمام الإسلام بالرسل والسفراء عند العهد النبوي فقط بل استمر في جميع عهود الدولة الإسلامية، فعقب وفاة الرسول ﷺ سار الخلفاء الراشدين على نهجه وخطاه وتمثلوا أعماله وأساليبه الدبلوماسية من حيث تفضيل السلم على الحرب، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانوا يستخدمون صيغ المعاهدات التي كان يستخدمها الرسول ﷺ من حيث الموضوع والإيجاز. وإذا كان عهد الخلفاء

---

[1] ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص267؛ أبو الحسن الندوي، علي بن عبد الحي بن فخر الدين: السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط12، دمشق، 1425هـ/2004م، ص490؛ خطاب، الرسول القائد، ص403؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفائس، ط1، د.م، 1424هـ/2003م، ص121.

[2] ويقال اسمه تغاطر، وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية، لما أرسله رسول الله إلى هرقل وغيَّر لباسه وأظهر إسلامه فقتلوه سنة 6هـ/627م. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، د.م، 1415هـ/1994م، ج3، ص56؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ/1994م، ج3، ص405؛ فتح الباري، ج1، ص43.

[3] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص211؛ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت، 430هـ/1038م): دلائل النبوة، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1، ص101–102؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص92؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1418هـ/1997م، ج6، ص480؛ الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، ط4، د.م، 1415هـ/1994م، ص220.

الراشدين يتميز باهتمامه بتأمين استقرار الدولة الإسلامية داخلياً والقضاء على الردة والفتنة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم الانطلاق في الفتوحات الإسلامية نحو الفرس والروم، إلا أن هذا العهد شهد اتصالاً بين المسلمين وغيرهم من خلال إرسال السفراء والرسل، وازدادت الحاجة لهذا الأسلوب من العلاقات بعد أن دخل الطرفان في حرب وقتال، واحتاج الأمر إلى سفراء ورسل ينتقلون بين الطرفين، وكانت مهماتها تنحصر في الغالب في الاتفاق على إنهاء القتال، وجرت في هذه السفارات نقاشات وأسئلة متبادلة انصبت على اختلاف الدين وعلى أحكام القتال، واطلع كل فريق على ما لدى الآخر من رسوم وأحوال، فجعل العرب من الصلح مبدءاً ثابتاً في علاقتهم بالأهالي البيزنطيين الذين فتحت أراضيهم، فالقائد العربي خالد بن الوليد وهو يعتزم فتح مرج الصفر «خرج إليه عظيم الروم يلتمس الأمان للمدينة فأمّنه»[1]. فكان الروم يلجئون في أوقات كثيرة إلى طلب الهدنة مع الدولة الإسلامية، إذا اشتد عليهم القتال وكان المسلمون في أيام ضعفهم يطلبون بواسطة مبعوثيهم وقف القتال وعقد هدنة أو صلح[2]. وتزخر نصوص البلاذري بمجموعة من الأحداث التي تشير إلى التزام العرب المسلمين بالمنهج السلمي القائم على الصلح في معظم الأراضي البيزنطية التي كانوا يرومون فتحها، لاسيما كتابي الصلح اللذان عقدهما خالد بن الوليد مع أهالي دمشق وحمص[3] للدلالة على مدى سعي العرب الفاتحين لجعل السلام جسر تواصل مع الأهالي البيزنطيين.

1- <u>في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ:</u>

تذكر المصادر أن الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ رغب في مهادنة الروم ومصالحتهم فبعث بسفارة إلى البيزنطيين. وإذا كان ابن حجر العسقلاني[4] قد أورد هذا الخبر بشكل مقتضب لا يسمح بمعرفة موضوع السفارة ولا تاريخها، ويكتفي بذكر أسماء المبعوثين

---

(1) ابن سلام، كتاب الأموال، ص229؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج62، ص345؛ الذهبي،سير، ج3، ص387.

(2) عفيفي، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، ص50.

(3) فتوح البلدان، ص128-136.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص394.

الذين كانوا ضمن الوفد المتجه نحو القسطنطينية ومنهم عدي بن كعب وعبادة بن الصامت الأنصاري وعمرو بن العاص وأخوه هاشم بن العاص الأموي ونعيم بن عبد الله، فإن رواية الدينوري[1] تمدنا بمزيد من التفاصيل حول موضوع السفارة وتاريخها ومقابلة الوفد الإسلامي للإمبراطور هرقل. فبخصوص تاريخ السفارة تحددها الرواية سنة 11هـ/632م. أما موضوع السفارة فتؤكد أن البعثة توجهت بهدف دعوة هرقل لاعتناق الإسلام فهل هي المرة الثانية التي يتم فيها دعوة هرقل للإسلام؟ أما بخصوص تفاصيل نشاط الوفد فيستشف من الرواية أن الإمبراطور البيزنطي خصص اليوم الأول من استقباله للوفد الإسلامي لإجراء حوار معه حول الديانة الإسلامية. وفي اليوم الثاني أمر «بعتيدة فيها بيوت كثيرة، وفي كل بيت باب صغير»، وأخذ يخرج من كل باب خرقة سوداء صغيرة بها صورة بيضاء مثل دارة القمر ليلة البدر تشتمل على صورة من صور الأنبياء، فيقوم بتعريفهم بالنبي الذي تظهر صورته إلى أن انتهى لصورة محمد ﷺ، فلما رآها أعضاء الوفد المسلم تأثروا وأجهشوا بالبكاء، فلما سألهم عن سبب ذلك أخبروه بأنها صورة نبيهم، فكانت هذه الإشارة دليلاً لهرقل على صحة نبوة محمد ﷺ. وبقي الوفد السفاري ثلاثة أيام في ضيافة العاهل البيزنطي، عاد بعدها محملاً بالهدايا[2].

2- **في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ:**

سار الخلفاء الراشدون والأمويون في سياستهم على النهج النبوي وهناك العديد من النصوص في المصادر التاريخية التي تتحدث عن سفارات عربية إلى الأمم الأخرى لاسيما الفرس والبيزنطيين وغيرهم .ومثل ما ذكر سابقاً أن الخليفة عمر ﷺ أرسل وفداً إلى الإمبراطور هرقل كان يحمل بعض الهدايا أرسلتها أم كلثوم إلى إمبراطورة الروم

---

[1] الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، 282هـ/895م): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1960م، ص18.

[2] أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص50؛ ابن حديدة، المصباح المضي، ج2، ص100-102؛ السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت، 911هـ/1505م): وفاء الوفاء بأخيار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م، ج1، ص185؛ حميد الله، مجموعة الوثائق، ص733-734.

فأرسلت إليها الإمبراطورة هدية فاخرة[1]، وهذا دليل على تكرر المراسلات بين عمر ﷺ وأباطرة الروم وإن كنا لا نعرف عنها شيئًا[2]. وهناك مراسلة تمت بين الخليفة عمر ﷺ وأحد الأباطرة البيزنطيين قنسطانز الثاني Constans II (21-48هـ/641-668م)، وفيها يسأل الخليفة عن معنى شجرة ليست بخليقة شيء من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تنشق عين مثل اللؤلؤ، ثم يخضر فيكون كالزُّمرُّد الأخضر، ثم يحمر فيكون كالياقوت الأحمر، ثم ينبع فينضج فيكون كأطيب فالوذجٍ أُكِلَ، ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، ويتساءل الإمبراطور البيزنطي عَمّا إذا كانت هذه الشجرة من أشجار الجنة. فكان جواب عمر ﷺ كما يلي: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الرُّوم: إنَّ رسلك قد صدقوك، هذه الشَّجرة عندنا، هي الشَّجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها». وقد استغل الخليفة الراشدي فرصة هذا الحوار الديني ليطلب من الإمبراطور البيزنطي التخلي عن القول بالطبيعة الإلهية لعيسى عليه السلام، مؤكداً له أن هذا الأخير بشر خلقه الله مثل آدم من تراب[3].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ض260؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص302؛ ضميرية: العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، كلية الدراسات العليا، ط1، جامعة الشارقة، 1428هـ/2007م، ص13.

(2) وردت روايات يسأل فيها إمبراطور الروم عُمَراً عن الحكمة أو يقول: املأ لي هذه القارورة من كل شيء، فملأها ماء،وقد أوردها الطبري وابن الجوزي بغير إسناد، ولكن لغتها وأسلوبها يغلب عليها تفلسف المتأخرين مما يجعلنا نجزم باختلاقها ووضعها على عمر. تاريخ، ج4، ض259؛ المنتظم، ج4، ص139.

(3) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي (ت، 327هـ/938م): تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، السعودية، 1419هـ/1998م، ج10، ص3323؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت، 571هـ/1175م): تاريخ دمشق، تح: محبّ الدين أبي سعيد عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج70، ص93؛ ابن كثير، تفسير القرآن، ج7، ص453؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت، 911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، د.م، 1425هـ/2004م، ص112-113.

3- في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ:

في سنة 28هـ/648م أجرى السفراء العرب مفاوضات مع أهالي قبرص عندما غزا والي الشام معاوية بن أبي سفيان قبرص، ونتج عنها حصول للمسلمين على الجزية من دون قتال ومقدارها (7 آلاف دينار) سنوياً، والسماح للمسلمين بالمرور وقتال الروم، وأن يُعيَّن أهل قبرص بطريقاً منهم[1]. وبعد الاستقرار الذي شهدته الدولة العربية عقب انتهاء الفتوحات الإسلامية، أخذ البيزنطيون يفكرون في عقد اتفاقيات سلمية مع الأمراء العرب في الثغور، لاسيما في بلاد الشام التي كانت تمثل تخوم شمال الجزيرة العربية؛ مثلاً المعاهدة السلمية التي وقعت بين الدولة البيزنطية والدولة العربية في العصر الراشدي وكان يمثلها معاوية بن أبي سفيان من عام 29هـ/649م حتى 31هـ/651م[2]. فقد توغل القائد بسر بن أبي أرطأة في الأراضي البيزنطية وحمل معه 500 أسير، مما جعل الإمبراطور قنسطانز يرسل إلي معاوية مبعوثاً خاصاً يدعى مانويل يعرض عليه رغبته في عقد اتفاقية للسلام، فقبل معاوية العرض شريطة أخذ بعض الرهائن ومن بينهم جريجوري بن تيودور شقيق الإمبراطور لضمان تنفيذ الاتفاقية[3]. وقد أورد البلاذري وابن سلام أن المعاهدة نصّت في أحد بنودها على أن يؤدي معاوية مبلغاً مالياً للبيزنطيين مقابل احتجازه بعض الرهائن، بيد أنهم لم يلتزموا بنصوص المعاهدة، ومع ذلك لم ينتقم الخليفة الأموي من الرهائن بل أطلق سراحهم[4]. فقد بدأت جيوش معاوية بالتوغل داخل

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص262؛ المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (ت، ق4هـ/10م): المنتخب في تاريخ المنبجي، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، ط1، لبنان، 1406هـ/1986م، ص55-56؛ طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين،ص380؛ حميدية، عليان، السفراء والدبلوماسيين، ص22.

(2)Theophanes, The chronicle of Theophanes (A ،D602-813) Translated by Idarry turtledove, U.S.A ،Pensylvania, 1982, p.44.

(3) المنجبي، المنتخب، ص57؛ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ص115:.Theophanes, p44-47

(4) فتوح البلدان، ص160؛ كتاب الأموال، ص253-254.

حدود الأراضي البيزنطية التي تنتظر انتهاء تاريخ المعاهدة واستئناف الإغارة عليها، إلا أن الصحابي الجليل عمرو بن عنبسة حذّر معاوية ونبهه إلى وجوب احترام العهد، وعدم شنّ أي هجوم حتى يتم إعلام العدو، وإلا اعتبر ذلك غدراً وإخلالاً بالمعاهدة جرياً على السنة النبوية، وقد ورد في الرواية على لسان هذا الصحابي: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا ينبذ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء»[1].

كما بودلت السفارات بين قنسطانز الثاني مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر في معركة ذات الصواري سنة (34هـ/654م)، وتمخضت المفاوضات عن إيقاف القتال ليلة واحدة اتفق الطرفان على أن تكون الحرب داخل البحر، وانتهت المعركة بانتصار العرب المسلمين[2].

4-في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ:

استغل الإمبراطور قنسطانز الثاني ظروف الانقسام العربي خلال فترة نزاع معاوية بن أبي سفيان مع علي بن أبي طالب ﷺ، وعزم على التوغل في بعض الأراضي الإسلامية المتاخمة لدولته. فقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان بضرورة مسالمة الإمبراطور البيزنطي وشراء السلام بالمال، وإطلاق سراح الأسرى، فاستجاب معاوية لنصيحة عمرو بن العاص فعقد المعاهدة مع قنسطانز الثاني[3]. فقد تم

---

[1] ابن سلام، كتاب الأموال، ص255؛ ابن حنبل، المسند، ج28، ص230؛ ابن كثير،تفسير القرآن،ج4، ص70.

[2] الطبري، تاريخ، ج4، ص291-292؛ الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري (ت، 634هـ/1237م): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ/2000م، ج2، ص367؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص252.

[3] الدينوري، الأخبار الطوال، ص168. أورد ابن كثير رواية مخالفة فقد ذكر أن معاوية كتب إلى الإمبراطور البيزنطي محذراً: «والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك

عقد المعاهدة في تاريخ غير محدد، ولو أن إشارة ابن كثير بأنها وقعت قبل بداية التحكيم تسمح بالاستنتاج أنها كانت ما بين سنتي (35–37هـ/655–657م)، وهو ما يتوافق مع رواية المؤرخ ميخائيل السرياني الذي أورد أن معاوية عقد هدنة مع الإمبراطور قنسطانز الثاني أثناء نزاعه مع علي بن أبي طالب ﷺ[1].

تاسعاً: السفارات بين العرب والبيزنطيين في العصر الأموي (41–132هـ/661–751م)

شهدت الدولة الأموية تطوراً واسعاً في إرسال السفراء والرسل بينها وبين الدول الأخرى، فبعد أن استقرت أركان الدولة وتوسعت في فتوحاتها، بدأت تمد علاقاتها إلى دول مختلفة في أرجاء العالم، فشهد العصر الأموي تطوراً في أسلوب السفارات وطابعها وتنظيمها وتشعب ميادينها. وقد ساعد الازدهار الاقتصادي والثقافي الذي شهدته الدولة الأموية على ازدهار علاقاتها السياسية مع الدول الأخرى، وعندما أصبحت الشام عاصمة لدولتهم وأقرب الحواضر الإسلامية إلى الروم تنامت بوادر الاتصال بين المسلمين والبيزنطيين، فقرب العاصمة الأموية دمشق من دول الروم في القسطنطينية شجع البلدين على تبادل السفراء بينهم. فامتاز العصر الأموي بتعدد السفارات العربية الموفدة من الخلافة الأموية في دمشق إلى بيزنطة، وسفارات بيزنطية إلى العاصمة دمشق، فعن طريق السفارات الإسلامية عرفت الدولة الأموية تنظيم الإدارة البيزنطية

الروم وانكفأ، وبعث يطلب الهدنة، ثم كان من أمر التحكيم ما كان». البداية والنهاية، ج11، ص400.

[1]Michel le Zyrien, Chronique, Texte syriaque ،Traduit en français par J.B. Chabot, Paris, 1899, Vol .II, p. 450-469 .

ويرجح عبد المنعم ماجد أن تكون هذه الاتفاقية قد عقدت سنة 36هـ/656م. انظر كتابه: التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، القاهرة، 1983م، ص35.

ونقلوا عنها تقسيم الدولة إلى ولايات وأنشئت الدواوين، وكان يتم اختيار السفراء وفق لمعايير وقواعد دقيقة؛ لأن السفير كان يمثل الخليفة ويفاوض باسمه[1].

1-في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-679م):

مع استقرار أمور الدولة العربية في العصر الأموي، بدأت فترة من الصراع المرير مع البيزنطيين، ومع ذلك لم يخلُ هذا العصر من عدد من الاتفاقيات السلمية، فعلى غرار العصر النبوي شهد العصر الأموي مجموعة من المراسلات بين الأمويين والبيزنطيين؛ فالمسعودي[2] يشير في سياق حديثه عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان بينه وبين أحد ملوك الروم "مراسلات ومهادنات" حتى قبل توليه الخلافة، وكان له غلام يدعى فناق الرومي كلفه بمهمة إيصال الرسائل بين الطرفين، فقد كان معاوية قد هادن أباه مورق بن مورق حين سار إلى حرب علي بن أبي طالب ﷺ.

فقد كان الصراع العربي ـ البيزنطي خلال العصر الأموي تحركه مصالح اقتصادية، ومن المعلوم أن طبقة التجار تجنح دائماً للسلم لتسهيل مشروعاتها التجارية، لذلك لا غرابة أن يكون الأمويون أكثر حرصاً على عقد المعاهدات السلمية رغم الحروب الطاحنة التي خاضوها مع البيزنطيين، والتي لم يكن الهدف منها سوى السيطرة على منافذ التجارة، وربط الاقتصاد المتوسطي بالمحاور التجارية لشمال الجزيرة العربية، فازدادت وتيرة إيقاع تبادل السفارات بين الجانبين[3]. ومن الاتفاقيات السلمية المنعقدة بين الأمويين والبيزنطيين، أن معاوية هادن الإمبراطور البيزنطي قنسطانز الثاني وابنه قسطنطين الرابع Constantine IV (48-66هـ/668-685م) في سنة 41هـ/661م، ومن الأسباب التي جعلت معاوية يعقد الاتفاقية هي حاجته الماسة إلى ترتيب أمور دولته

---

[1] المبيضين، مخلد عبيد: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط3، عمان، الأردن، 1433هـ/2012م، ص273؛ التابعي، السفارات في الإسلام، ص472.

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط5، بيروت، 1393هـ/1973م، ج1، ص329.

[3] رستم، الروم، ص260.

بعد البيعة التي بويع بها من قبل مختلف التيارات الإسلامية[1]. يقول اليعقوبي[2]: «ورجع معاوية إلى الشام سنة إحدى وأربعين، وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عمّا يحتاج إلى تدبيره وإحكامه، فوجّه إليه، فصالحه على مائة ألف دينار. وكان معاوية أول من صالح الروم، وكان صلحه إيّاهم في أول سنة اثنين وأربعين، فلمّا استقام الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف، فسبوا بلاد الروم سنة بعد سنة، وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعّف المال فلم يجبه». يتضح من خلال هذه الرواية أن معاوية عقد صلحين: أولهما سنة 41هـ/661م عندما كان لا يزال والياً على الشام، أما الاتفاقية الثانية فكانت سنة 42هـ/662م عندما أصبح خليفة على المسلمين، وكانت نتيجة لاتفاقية سنة 41هـ/661م التي عقدها قبل خلافته بمدة يسيرة[3]. وهناك اتفاقية أخرى بين العرب وبيزنطة تمت كذلك في عهد معاوية لم تذكر المصادر تاريخها فقد بعث رسولاً من أقاربه لعقد هدنة مع البيزنطيين، وأمره بالتشدد في شروط المفاوضات، بيد أن الإمبراطور البيزنطي ساوم المبعوث العربي وأغراه بالمال حتى خفف عنه الشروط، وأمضى أمر الهدنة، وعندما رجع المبعوث نحو معاوية انتقده وأقاله من مهمته بسبب التفريط في شروط المفاوضات[4]. وفي عهد معاوية كانت أغلب مناطق أرمينية شمال بلاد الشام تعتمد في ولائها للعرب المسلمين على معاهدات الأمان. ويبدو إن معاوية استفاد من الظروف الدولية وقتذاك متمثلة بسوء

---

[1] ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت، 240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط2، دمشق، بيروت، 1397هـ/1977م، ص205؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص329.

[2] اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، 292هـ/905م): تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، 1431هـ/2010م، ج2، ص125.

[3] ماجد، التاريخ السياسي، ص35.

[4] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت، 709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، ط1، بيروت، 1418هـ/1997م، ص73.

علاقة صاحب الأرمن سابور مع قسطنطين الرابع، إذ التقى السفيران الموفدان من الأخيرين إلى معاوية في دمشق، ولذلك نجحت سفارة معاوية في احتواء الأرمن[1]. ففي سنة 48هـ/668م أرسل الخليفة معاوية سفارة إلى أهل أرمينية، يطلب منهم الاعتراف بسلطانه، والدخول في حماية المسلمين واستجابوا له، لذلك نصب على أرمينية والياً مسلماً[2]. وذكر ابن العبري: أنه في سنة 46هـ/666م بعث الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع سفارة إلى دمشق للقاء معاوية الذي كان قد تولى الخلافة. وكان وفد بيزنطة برئاسة مبعوث يدعى أندرو يحمل رسالة تهديد لمعاوية مفادها عدم مساعدة سابور لأن الأرمن تمردوا على البيزنطيين، بيد أن هذه السفارة لم تحقق نجاحاً يذكر فلم يستجيب معاوية لرسائل تلك السفارة، بل عمل على توطيد علاقته مع ملك أرمينية[3].

كما بعث معاوية سنة 53هـ/674م مبعوثاً يدعى عبد الله بن مسعدة الفزاري إلى الإمبراطور البيزنطي الذي لم تحدد الرواية العربية اسمه، ويرجح أنه يكون الإمبراطور قسطنطين الرابع الذي يتزامن حكمه مع هذه المرحلة. فاجتمع بجبلة بن الأيهم، فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال؛ من الخدم والحشم والذهب والخيول، فقال له جبلة: لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثنية فإنها منازلنا، وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا، ويحسن جوائزنا، لرجعت إلى الشام. فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله، فقال معاوية: أنا أعطيه ذلك. وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة[4]، إن النص لم يفصح عن موضوع السفارة، ولا يستبعد أن يكون الهدف عقد معاهدة أو صلح بين الطرفين.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص197.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص251؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص458.

(3) ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت، 685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت، 1992م، ص109.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص167؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص269. وردت سنة 52هـ/673م. عند: الطبري، تاريخ، ج5، ص287؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص249؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص85.

وهناك اتفاقية عقدها معاوية مع البيزنطيين سنة 58هـ/678م وقد حددت مدتها في ثلاثين سنة. وتقتضي هذه المعاهدة التزام الخليفة الأموي بدفع ضريبة سنوية مقدارها ثلاثة آلاف قطعة من الذهب وخمسين عبداً وخمسين حصاناً عربياً أصيلاً، مع إطلاق سراح خمسين أسيراً من البيزنطيين. وترجع أسباب هذه الاتفاقية إلى القلاقل والاضطرابات التي أثارها الجراجمة المقيمون في الثغور الإسلامية المتاخمة للدولة البيزنطية، مما سبّب قلقاً لدى معاوية، وهو ما حدا به إلى إرسال سفارة للإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع لتأمين سلامة حدود بلاده الشمالية وعقد معاهدة سلمية. وخلال هذه السفارة، حظي المبعوث الأموي باستقبال رائع وحار من قبل العاهل البيزنطي، ولقي كل أشكال الحفاوة والكرم. وبدأت المفاوضات في القسطنطينية، ثم عاد السفير إلى العاصمة الأموية مصحوباً بالمبعوث البيزنطي لدى الإمبراطور يدعى يوحنا بتريجوس الذي استقبل بحفاوة عربية كبيرة لتتمة المفاوضات التي انتهت بالمصادقة على الاتفاقية ونجح في عقد معاهدة سلمية مع الأمويين، واحتفظ كلا الطرفان بنسخة منها. وبعد عقد الاتفاقية عاد السفير البيزنطي إلى القسطنطينية محملاً بالهدايا الثمينة، وهو مؤشر لا يقبل الجدل حول نجاح سفارته[1]. ويرجع بعض الباحثين[2] أسباب عقد هذه المعاهدة إلى أن معاوية كان يتوخى منها تهيئ ظروف انتقال الخلافة إلى ابنه يزيد في مناخ سلمي، وبالتالي إبعاد الخطر البيزنطي من دائرة المطبات التي قد تعيق توريثه الخلافة.

كما سجلت كتب الأدب رسائل متبادلة بين معاوية وملك الروم، فقد بعث أحد أباطرة بيزنطة إلى معاوية مراسلة تتضمن أسئلة حول قضايا دينية وكونية، نذكر منها: أحب الكلام عند الله عزّ وجلّ، وأكرم الإمام عند الله عزّ وجل، وأربعة زرعت فيهم الروح دون أن يرقدوا في رحم. وما القبر الذي سار بصاحبه، وما المكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة، وما هو قوس قزح وما هي المجرة؟. وللرد على أسئلة الإمبراطور،

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص190؛ رستم، الروم، ص262-263؛
Theophanes, The chronicle of Theophanes, p, 54.

[2] ماجد، التاريخ السياسي، ص272.

استدعى معاوية عبد الله بن عباس الذي تمكن من الإجابة عن هذه الأسئلة، ولما قرأها الإمبراطور البيزنطي استنتج بفطنته أنها ليست من أجوبة معاوية، وإنما أجاب عنها أحد من آل البيت[1].

2-في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م):

نقض الروم معاهدتهم مع معاوية، فجددها الخليفة عبد الملك رغبة منه في استمرار حالة السلام بين الدولتين. فقد اضطر أن يهادن الروم ليتفرغ لحروب العراق والحجاز قبل أن يستقر له الملك، فتوالى عقد الاتفاقيات السلمية على شكل معاهدات أو صلح بين العرب والبيزنطيين، ففي سنة 70هـ/689م تجدد لقاء سفراء العرب المسلمين، متمثلة بخلافة عبد الملك، والبيزنطيين متمثلة بسلطة الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian11 (66-76هـ/686-695م)، فقد أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان سفارة إلى بيزنطة، فاجري الوفد العربي مفاوضات توصل إلى عقد هدنة، واتفق الوفدان على مبادئ بموجبها تجديد مبادئ المعاهدة السابقة، مقابل تعهد جستنيان الثاني أبعاد الجراجمة عن الحدود العربية الإسلامية مقابل دفع مبلغ ألف دينار ذهب كل أسبوع من قبل المسلمين إلى بيزنطة بهدف الحفاظ على مصير المسلمين المقيمين بالقرب من الحدود البيزنطية[2]. والهدف من هذه التنازلات السياسية والسيادية القضاء على الفتن الداخلية والاضطرابات التي جابهت الخليفة عبد الملك أبان توليه سدة الخلافة[3]. فقد كان الوضع الداخلي للدولة الأموية متأزم خلال تلك المرحلة حيث كثر الخارجون عنها سواء من البيت الأموي نفسه أو من المعارضين لها كالخوارج وأتباع ابن الزبير، مما جعل الخليفة

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت، 276هـ/889م): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، ج1، ص297.

[2] الطبري، تاريخ، ج6، ص150؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص101؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص393؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص112؛ الذهبي، العبر، ج1، ص58؛ تاريخ الإسلام، ج5، ص69؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص130؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص303.

[3] حميدية؛ عليان، السفراء والدبلوماسيون، ص22.

الأموي يسارع لخطب ودّ الإمبراطور البيزنطي من أجل تثبيت بيعته وإحكام قبضته على الحكم. ويعلق ابن العماد على هذه الاتفاقية بأنها «أول وهن دخل على المسلمين والإسلام»[1]، تعبيراً منه على الشروط المجحفة التي فرضها البيزنطيون على العرب الأمويين بسبب التشرذم والانقسامات الداخلية. بيد أن بعض الدارسين المحدثين[2]، اعتبروا مبادرة عبد الملك بن مروان لشراء السلم بالمال في مثل تلك الظروف المتأزمة نصراً تمكن من خلاله إبعاد خطر الجراجمة، وبالتالي فتح له الطريق نحو القسطنطينية.

وفي سنة 74هـ/693م أرسل الخليفة عبد الملك الفقيه أبو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي موفداً له إلى إمبراطور بيزنطة جستنيان الثاني، فقد اتصل الشعبي بعبد الملك فكان نديمه وسميره، وأثبت السفير الشعبي مهارة فائقة في إيصال رسالة الخليفة إلى جستنيان، ويروى أن الأخير أراد قتل السفير العربي الشعبي فتمكن الأخير من الإفلات[3]. وفي خبر السفارة: وجه عبد الملك بن مروان عامراً الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر فاستكثره، فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك فأبلغه جميع ما يحتاج إلى معرفة من ناحيتنا، وادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى ذكره، ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة فرجع، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة نسيتها حين خرجت، وكانت في آخر ما حملني، فدفعها إليه ونهض فقرأها عبد الملك فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال:لا، قال: فيها: عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا، أفتدري لم كتب إلي بهذا؟ فقال: لا، قال: حسدني بك فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان ذاك يا أمير المؤمنين ما

---

[1] ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبلي (ت، 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، أخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1، ص300.

[2] العدوي، إبراهيم أحمد: الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية، 1372هـ/1953م، ص176.

[3] ابن الفراء، رسل الملوك، ص84؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص304.

استكثرني. فبلغ ملك الروم ذلك، فذكر عبد الملك فقال: للّه أبوه، والله ما أردت إلا ذلك[1]. ومهما كان الأمر فإن الإمبراطور البيزنطي استضاف المبعوث العربي مدة لم تكشف عنها المصادر، واكتفت بتحديدها بعدة أيام. ويفهم من الرواية التي ذكرت خبر السفارة أن الإمبراطور البيزنطي أعجب بالسفير الشعبي إلى حد استغرابه وتساؤله حول عدم تبوئه منصب الخلافة بدل عبد الملك، قاصداً بذلك الإيقاع بين المبعوث وخليفته[2].

وفي سنة 74هـ/693م أرسل إمبراطور بيزنطة جستنيان الثاني سفارة إلى دمشق لمقابلة الخليفة عبد الملك بن مروان، وذكرت بعض المصادر: أن هناك مراسلات تحمل شحنة من التحدي والسعي لإثبات الذات، وهو ما تعكسه المراسلة التي تمت بين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وجستنيان الثاني. ويرجع سبب هذه المراسلة إلى أن الخليفة المذكور كان أول حاكم عربي كتب في أعلى القراطيس المعدة لكتابة الرسائل الآية الأولى من سورة الإخلاص، مع عبارة الصلاة على النبي، وكان الأمويون قبل ذلك يكتبون على الورق الوافد إليهم من بيزنطة عن طريق مصر، وهو الورق الذي يتضمن شارات الدولة البيزنطية. ولم يستسغ العاهل البيزنطي هذا الأمر، فراسل الخليفة الأموي محذراً: «إنكم أحدثتم في طوامیركم[3] شيئاً من ذكر نبيكم، فاتركوه وإلا أتاكم في دنانيرنا ذكر ما تكرهونه». فعظم ذلك على عبد الملك، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فشاوره، فقال: حرم دنانيرهم، واضرب للناس سككًا فيها ذكر الله وذكر رسوله، ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير، فقد أمر عبد الملك بن مروان بسك دنانير عربية بديلة للدنانير البيزنطية حتى

---

[1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت، 463هـ/1070م): تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ج12، ص225–226؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج25، ص386؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص93–94.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص304؛ الصلابي، الدولة الأموية عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، دار المعرفة للطباعة، ط2، بيروت، 1429هـ/2008م، ج2، ص15.

[3] **الطوامير**: الثوب الخلق والجمع أطمار وأحد الطوامير وهو الصحيفة. الرازي، مختار الصحاح، ص192.

يسحب البساط من تحت أقدام العاهل البيزنطي، وهو إجراء يفسر برغبة الدولة الأموية في تأميم السكة وتعريبها، والسعي لتحقيق الاستقلال المالي عن البيزنطيين، وبالتالي حماية الاقتصاد الأموي والحيلولة دون إحداث عمليات الغش والتزوير في العملة[1].

3-في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م):

تابع الوليد بن عبد الملك الضغط على الدولة البيزنطية بالغزو المتواصل للحصون والقلاع والمدن المتاخمة لبلاد المسلمين، وكان يهدف من وراء ذلك إلى صرف نظر البيزنطيين عن الهدف الرئيس الذي كان يخطط له وهو غزو عاصمتهم، وقد حالف التوفيق المسلمين في معظم غزواتهم، ودخلوا إلى الأعماق البيزنطية، مما أوقع الشك والريب في قلب الإمبراطور أنسطاس بأن وراء هذا النشاط العسكري ما وراءه[2]، فمن الطبيعي أن تكون عيون البيزنطيين دائماً مفتوحة على حدودهم مع المسلمين، فجبهة الحدود دائماً ملتهبة والغزو الإسلامي لا يكاد يتوقف ولكي يتأكد البيزنطيون من نوايا المسلمين وأهدافهم من وراء هذا النشاط العسكري المستمر، حيث أنه لم تخل سنة من سنوات حكم الوليد من خروج جيش للغزو والجهاد، ودخول إلى بلاد الروم، وفتحٍ للمعاقل والحصون[3]،

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص296؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص237؛ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت، 395هـ/1004م): الأوائل، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة، ط1، طنطا، 1408هـ/1987م، ص254؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص453؛ النويري، نهاية الأرب، ج21، ص223؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص257؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص164؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص178-179.

[2] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص141.

[3] ينظر ذلك عند: الطبري، تاريخ، ج6، ص426، 429، 434، 439، 442، 454، 468، 469، 483، 492، 495؛ خليفة، تاريخ، ص304-305، 306، 309، 310.

وكان من أهم المعاقل والحصون التي افتتحت زمن الوليد حصن الطوانة[1] الذي هو بمثابة مفتاح الطريق بين الشام ومضيق البوسفور، على الرغم من استعصائه، واستماتة الروم في الدفاع عنه، ووصول إمدادات إمبراطورية منجدة، لكن المسلمين هزموهم وفتحوا الحصن والمدينة سنة 88هـ/707م[2].

وفي سنة 95هـ/714م وحين قرر الوليد فتح القسطنطينية وأعد العدة لذلك أرسل الإمبراطور البيزنطي انستاسيوس الثانيAnstasius II (94-97هـ/713-716م) سفيراً يدعى دانيال حاكم مدينة سينوب إلى دمشق للتداول مع الخليفة حول إمكانية عقد هدنة بين الطرفين وزوده بتعليمات سرية ترمي إلى الوقوف على مدى استعدادات العرب والمسلمين في حملتهم لحصار القسطنطينية، ولما وصلت السفارة البيزنطية إلى دمشق، شاهدت عظمة المسلمين في عاصمتهم ونشاط الخليفة في إعداد الجيوش لتوجيهها إلى القسطنطينية، ويذكر أن البعثة لم تظفر بما جاءت من أجله، لكنها أدركت ما يخطط له المسلمون من غزو عاصمتهم، فعادت لتؤكد للحاكم البيزنطي صدق عزيمة المسلمين على الجهاد واستعدادهم للحملة وحث الروم على اتخاذ التدابير الكفيلة والإجراءات الدفاعية لمواجهة الحملة العربية الإسلامية للدفاع عن العاصمة فأخذ انستاسيوس برأي سفيره وأعلن في القسطنطينية أخبار الحملة الإسلامية المنتظرة، وأمر كل فرد أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه لمدة ثلاث سنوات وأن يخرج من المدينة كل معوز وغير قادر على

---

[1] **الطوانة:** حصن وبلد منيع من الحصون التي بناها الروم بثغور المصيصة. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، 626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج4، ص45-46.

[2] ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992م، ص359؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص161؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج26، ص443-446؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص27؛ عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، دار السلام للطباعة، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص254؛ السويكت، سليمان بن عبد الله: الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد112، 1424هـ/2004م، ص433.

تدبير مؤونته، ثم ملأ الخزائن الإمبراطورية بكميات كبيرة من القمح وغيره من الحاجيات التي يتطلبها المدافعون عن المدينة، واهتم كذلك بتجديد أسوار المدينة لاسيما الجهات المطلة منها على البحر، وتزويد الأسوار البرية بكل الآلات الحربية من المنجانيق وغيرها من وسائل الدفاع[1]. فأمر الإمبراطور بإعداد حملة لمهاجمة سواحل الشام بقصد عرقلة استعدادات المسلمين أو القضاء عليها. وبينما يمضي الخليفة الوليد في استعداداته للزحف على العاصمة البيزنطيين إذ وافته المنية سنة 96هـ/715م، فخلفه أخوه سليمان ليواصل جهوده في هذا الميدان، وهذا يدل على أن الروم كانوا يتخذون من السفراء والوفد وسيلة لجمع المعلومات في الدولة الإسلامية واستعداداتهم اتجاه الروم والتجسس على الدولة الإسلامية مستغلين كونهم رسلاً بين الدولتين مستفيدين من طبيعة المهمة السلمية التي يقومون بها[2].

وكانت هناك مراسلات وتبادل هدايا بين الخليفة الوليد بن عبد الملك وبين ملوك الروم حين أراد بناء الجامع الأموي، فعلى سبيل المثال ما أهداه الوليد إلى ملك الروم من كميات الفلفل قدرت قيمتها بعشرين ألف دينار[3]، وعند بناء المسجد السالف الذكر، عثر البناة في حائط المسجد القبلي على لوح من حجر يتضمن نقوشاً كتابية، فأصدر الوليد

---

[1] عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص256؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج2، ص6-7؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص159، عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، د.ت، ج2، ص84؛ السويكت، الحملة الأخيرة، ص433-434.

[2] الصلابي، الدولة الأموية، ج2، ص82؛ عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص256؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص256.

[3] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص240؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر للطباعة، ط1، دمشق، 1402هـ/1984م، ج1، ص256؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص595؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت، 927هـ/1521م): الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1310هـ/1990م، ج2، ص287؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، ص308؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج2، ص82.

أمره بإرسال هذا النقش إلى بيزنطة لفك شفرات مضمون النص المكتوب عليه. ورغم أن البيزنطيين لم ينجحوا في فك لغز النقش[1]، فإن هذه الاستشارة تعكس وجهاً آخر من مشاهد الصلات الودية بين العرب والبيزنطيين.وكانت هناك مراسلات بين الوليد وبين ملك الروم ولاسيما حينما هدم الوليد كنيسة دمشق، فكتب إليه ملك الروم: إنَّك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كنت مصيبا فقد أخطأ أبوك، وإن كان أبوك مصيبا فقد أخطأت أنت[2]، وإن كان خطأ فما عذرك؟. فكتب إليه الوليد: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾[3]. وهناك روايات كثيرة تشير إلى التعامل السلمي وتبادل الخبرات بين الوليد وقيصر الروم، فقد أراد الوليد الاستفادة من خبرات الروم في صناعة الفسيفساء والبناء والعمران، وكانت هناك مراسلات متعلقة بالأسرى والرهائن بين الطرفين، فقد كانت من المسائل المهمة جداً وكانت المفاوضات بشأنها تجري أما في دمشق أو في القسطنطينية، وليس في مدن محلية صغيرة[4].

وتحوي المصادر أيضاً خبر سفارة بيزنطية تمت في عهد الخليفة الوليد، ويبدو أنها كانت تضم وفداً بيزنطياً كبيراً بدليل قول ابن كثير بأن البعثة شملت «جماعة من بلاد

---

(1) ابن أبي الهول، علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي (ت، 444هـ/1052م): فضائل الشام ودمشق، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط1، دمشق، 1950م، ص34.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص297؛ الدينوري، أحمد بن مروان المالكي (ت، 333هـ/943م): المجالسة وجواهر العلم، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، دار ابن حزم، البحرين، بيروت، 1419هـ/1998م، ج7، ص203؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص259؛ ج63، ص177؛ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت، 671هـ/1275م): الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج11، ص308؛ النعيمي، الدارس، ج2، ص290؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج2، ص82.

(3) القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآيتان: 78-79.

(4) الصلابي، الدولة الأموية، ج2، ص82.

الروم رسلاً من عند ملكهم». ولا يمكن من خلال نص الرواية أن نستشف موضوع السفارة، وإن كان يغلب على الظن أنها عبارة عن زيارة تعارف ومجاملة، بدليل أن أعضاء الوفد البيزنطي دخلوا دمشق من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير للاطلاع على معالم المدينة المعمارية وفنون الحضارة العربية، فرأوا ما بهر عقولهم من روعة المسجد الجامع وسحر زخرفته، إلى درجة أن رئيس الوفد صعق من هول ما شاهده وسقط مغشياً عليه، وبقي أياماً بدمشق يتماثل للشفاء. ورغم المبالغة في هذه، فإن المبعوث البيزنطي بعد أن شوفي سئل عن سبب ما تعرض له فأجاب بأنه لم يكن يتصور أن العرب قد وصلوا إلى ذلك المستوى الراقي من النهضة العمرانية[1].

4-في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م):

لم يحدث في زمن سليمان أي تبادل للسفراء بين بيزنطة والعرب بل استمر الأمويون في غزو أراضي الروم في مناطق الحدود؛ فبعد موت الوليد بن عبد الملك سنة 96هـ/715م تابع أخوه سليمان الإعداد والتجهيز لغزو القسطنطينية مستغلاً الظروف السيئة التي مرت بها الإمبراطورية؛ من تعاقب الأباطرة، وضعف بعضهم، والصراع حول العرش، والثورات والفتن وانتشار الفساد فقد كانت الإمبراطورية تعيش حالة ضعف تام[2]. حيث غزا ابنه داود بن سليمان الصائفة سنة 97هـ/716م، فافتتح حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية[3]، وغزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح بعض الحصون

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص581.

(2) ماجد، التاريخ السياسي، ص245؛ عاقل، نبيه: خلافة بني أمية، جامعة دمشق، 1972م، ص246-247؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص161؛ عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج2، ص87؛ حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، د.ت، ص310.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص523؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص84؛ 93؛ النويري، نهاية الأرب، ج21، ص347؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص641؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص90؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري (ت، 874هـ/1470م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، د.ت، ج1، ص236.

كبرجمة[1] وحصن الحديد وحصن ابن عوف[2]، كما غزا عمر بن هبيرة وذلك أرض الروم بهدف إلهاء السلطات البيزنطية والتمويه على الهدف الرئيس[3].

5-في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99- 101 هـ/ 717- 720 م):

بلغت العلاقات الإسلامية البيزنطية أفضل حالاتها في العصر الأموي، في خلافة عمر بن عبد العزيز، ومعاصره الإمبراطور ليو الثالث**Leo 111** أو ليون الأيسوري (99-124هـ/717-741م). ولقد كان الاحترام والإعجاب متبادلين بين الخليفة والإمبراطور على المستوى الشخصي، فقد روى أنه عندما مرض الخليفة عمر، علم بذلك الإمبراطور ليون وأرسل إليه أحد أطباء القصر الإمبراطوري ليعالجه، ومما يدل على حسن العلاقات أن ذلك الطبيب كان قسيساً، أي من رجال الدين المسيحي[4].

ويبدو أن العلاقات الودية بين عمر بن عبد العزيز والإمبراطور ليون قد شجعت الخليفة على دعوة الإمبراطور إلى الإسلام حيث أرسل إليه وفداً يحمل رسالة بهذا الغرض. وقد كلف بهذه المهمة عبد الصمد بن عبد الأعلى بن عمرة الذي طلب من الخليفة – نظراً لأهمية السفارة – أن يرافقه وفد نحو الديار البيزنطية. وبطبيعة الحال لم يقبل الإمبراطور دعوة الخليفة ونصيحته، ولكنها لم تؤثر سلبياً على علاقاتهما، فقد استمرت ودية، وظل الإمبراطور على إعجابه بالخليفة المسلم ومكانته بين المسلمين واحترامه إلى وفاته، كما أنه قد يكون رغب في مجاملة مبعوثي الخليفة الذين كانوا في

---

(1) **برجمة:** ذكره ياقوت الحموي: حصن للروم في شعر جرير. معجم البلدان، ج1، ص374.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص314؛ الطبري، تاريخ، ج6، ص523؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص84؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص266؛ السويكت، الحملة الأخيرة، ص435.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص523؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص84؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص621؛ طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، ط7، بيروت، 1431هـ/2010م، ص130.

(4) ابن عبد الحكم، عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع (ت، 214هـ/829م): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تح: أحمد عبيد، عالم الكتب، ط6، بيروت، 1404هـ/1984م، ص102؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص303.

هذا الوقت في القسطنطينية، وشاهد رجالها مدى تأثير الإمبراطور ليو الثالث عندما بلغه خبر وفاة الخليفة[1]. وقد سجل المؤرخون مديحًا عظيمًا لإمبراطور الروم في حق عمر بن عبد العزيز وزهده،فقد روي أن عمر بن عبد العزيز بعث وفداً إلى ملك الروم، في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه إليه ... فتلقاهم بجميل، وأجابهم بأحسن الجواب، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم، فلما كان في غداة غدٍ أتاهم رسوله، فدخلوا عليه، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضح التاج عن رأسه، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها، كأنه في مصيبة، فقال: «هل تدرون لماذا دعوتكم؟ قالوا: لا، قال: إن صاحب مسلحتي التي تلي العرب جاء في كتابه في هذا الوقت إن ملك العرب، الرجل الصالح قد مات، فما ملكوا أنفسهم أن بكوا، فقال: لا تبكوا له، وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم، فإنه خرج إلى خير مما خلف، قد كان يخاف أن يدع طاعة الله في الدنيا، فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة، ولقد بلغني من بره وفضله وصدقه، ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى، لظننت أنه يحيي الموتى، ولقد كانت تأتيني أخباره ظاهرا وباطنا، فلا أجد أمره مع ربه إلا واحدا، بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه، ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته، ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها، حتى صار مثل الراهب، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلا»[2].هذه أجمل صورة للعلاقات الإسلامية البيزنطية، تحمل أكثر من دلالة، ولها أكثر من معنى.

وقد تبعت هذه البعثة سفارة أخرى أرسلها الخليفة عمر، وإن لم تفصح النصوص عن موضوعها، حيث اكتفت بالقول أنها أرسلت لـ«أمر من أمور المسلمين»[3]. وربما كان

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص185.

[2] ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص148–149؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص195؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج45، ص261–262؛ الذهبي، سير، ج5، ص142–143؛ كرد علي (محمد): خطط الشام، مكتبة النوري، ط3، دمشق، 1403هـ/1983م، ج1، ص125؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص304.

[3] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص195.

هدف هذه البعثة من أجل تبادل إطلاق سراح الأسرى، ففي عهد الخليفة عمر حدثت مفاوضات بين بيزنطة والعرب للبحث في مسألة فداء الأسربالذي أعطى هذه المسألة الإنسانية جهده ووقته، فكان «يعطي برجل من المسلمين عشرة من الروم»[1]. فالخليفة عمر كان رجلاً صالحاً يكره الحرب والعنف بطبعه، فأوقف الحروب على الحدود الإسلامية البيزنطية، بل أمر برفع الحصار الذي كان يفرضه الجيش الإسلامي على القسطنطينية وأمر بعودة ذلك الجيش إلى الشام، واهتم بأمر الأسرى المسلمين الذين كانوا في أيدي البيزنطيين، فأرسل إلى القسطنطينية وفداُ من أجل التفاوض لافتدائهم، وعودتهم إلى بلادهم[2]. وبذلك تكون المساعي الحميدة المبذولة لإطلاق سراح الأسرى من البيزنطيين والعرب قد ساهمت إلى حدّ كبير في إشاعة الدفء في الصلات الودية بين العرب والبيزنطيين.

كما وفدت سفارة بيزنطية من عشرة رجال إلى دمشق، وبالمقابل عهد الخليفة عمر إلى عشرة رجال من المسلمين ممن يجيدون اليونانية بمرافقتهم وكلفهم أن يدونوا له كل ما يبدونه من ملاحظات، زار أعضاء الوفد البيزنطي الجامع الأموي، وأبدوا إعجابهم بالمعالم الفنية الرائعة للمسلمين في البناء والعمران والفن[3].

6-في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م):

أن العلاقات استمرت بدون مشكلات كبيرة ولا اشتباكات خطيرة على الحدود إلى نهاية العصر الأموي 132هـ/750م[4]. وفي سنة (125هـ/743م) أرسل إمبراطور بيزنطة سفارة إلى الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق، ولما وصل سفير بيزنطة لدمشق، استقبله حشد من الناس فقيل للسفير البيزنطي: "لقد أعد الخليفة لك، وحشد الناس وهذا الاستقبال

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج5، ص260؛ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت، 430هـ/1038م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، القاهرة، 1394هـ/1974م، ج5، ص290.

(2) عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص303.

(3) ابن الفراء، رسل الملوك، ص33.

(4) عبد اللطيف، السيرة النبوية، ص305.

الرائع، لِمَ لمْ تلتفت إليها؟ فقال السفير: أن عيني وقلبي مملوءان مما خلفته ورائي يشغلهما عظيم ما عندنا عن صغير ما عندكم، فبلغ قوله إلى الخليفة هشام فقال: "قاتل الله العُلِجَ"[1].

الخاتمة

حاول البحث إلقاء الضوء على إحدى الحلقات المعتمة في تاريخ الإسلام بين العالم العربي والعالم البيزنطي، وقد أبانت الدراسة بعد تجميع شتات النصوص والوثائق المبعثرة في بطون المصادر العربية والبيزنطية وغيرها. فمن خلال دراسة السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ومعاملة البيزنطيين للسفراء المسلمين تتضح لنا متغيرات السياسة البيزنطية تجاه القوى الإسلامية العظمى في العالم الإسلامية واتجاه السياسة البيزنطية نحو المسلمين ككل، وأتت هذه الدراسة لتوضح سياسة هامة في تاريخ المسلمين الدبلوماسي هذا التاريخ الذي يعد ناصعاً بمبادئه ومثله ومراسمه النابغة من سمو شريعة الإسلام الخالدة وشمولها. فالدولة الإسلامية حين تنطلق في الإطار الخارجي لتقيم علاقات مع غيرها من الدول فإنها تنطلق في ذلك من موقف قوي، وهو أنها صاحبة المبادأة في هذه العلاقات تحقيقاً لغايات سامية ترتبط بالمنهج الذي قامت عليه الدولة وهو الدعوة إلى الله، فالدولة الإسلامية لم تنشأ لديها مسألة هذه العلاقات لتحقيق مصالح دنيوية مادية ولكن لتؤدّي الغرض الذي قامت من أجله وهو السيادة الإسلامية في أرجاء المعمورة. كما جسّد إرسال المبعوثين والرسل وتبادل الهدايا انعكاساً أميناً للصالات الودية بين البيزنطيين والعرب خلال القرن الأول الهجري الذي شمل عصر النبوة والخلافة الراشدة ومعظم العصر الأموي.

فكانت عناية المسلمين بالسفراء والمبعوثين عناية فائقة تمثلت في الدور الذي قام به هؤلاء السفراء لدى الأمم والدول التي أُرسلوا إليها وما عرضوه من محاسن الإسلام، وعرَّفوا الآخرين بهذا الدين العظيم.

---

[1] ابن الفراء، رسل الملوك، ص37.

فقد بادر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى إرسال الرسل داعياً الملوك والأمراء في زمنه إلى الإسلام، وتبعه الخلفاء الراشدين والأمويين في ما سنّ من مبادرات. ويعد التاريخ الدبلوماسي لدى المسلمين تاريخاً راقياً ومشرفاً سواء من حيث الشروط المطلوب توفرها في الرسول أو من حيث مهامه وحصانته وامتيازاته، فقد شهد الفقه الإسلامي أحكاماً مختلفة تبحث في شؤون السفراء والرسل كحمايتهم وتأمينهم عند دخولهم أراضي الدولة الإسلامية من الاعتداء والاعتراض لهم أو فرض الجزية عليهم أو أخذ العشور على أمتعتهم وما يحملون، فالسفير في أمان حتى يعود لدولته، وكذلك الوفاء وعدم الغدر في علاقات المسلمين بغيرهم، وبحث الفقهاء أحكام السفراء والرسل المبعوثين أثناء إقامتهم في الدولة الإسلامية وغير ذلك من الأمور.

فيمكن القول أن السفارات في عصر النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين والأمويين استخدمت بقصد الدعوة إلى الدين الجديد، وإعلان الحرب دفاعاً عن حرماته وبلاده، والتمكين له بعقد المعاهدات مع ممثلي الأمصار والمدن المفتوحة. ولا يعني ذلك أن مهمة السفراء في الدولة الإسلامية مقصورة على الدعوة إلى الإسلام بل كانت مهامهم شاملة لمختلف جوانب العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول إلا أن الدعوة إلى الإسلام كانت مقدمة الأهداف التي يُرسَل السفراء من أجلها. فقد اقتصرت مهام الرسل والسفراء قبل الإسلام على تحقيق مصالح الدول أو عقد الاتفاقيات والمعاهدات التي تضمن حالة السلم إما أن تأتي دولة إلى دين إلهي وتأمر الناس بإتباع منهج الله، بل تحارب من أجل العقيدة، فلم يتحقق ذلك إلا في الدولة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، 630هـ/1233م):

1- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.

2- **الكامل في التاريخ**، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م.

3- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، د.م، 1415هـ/1994م.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت، 430هـ/1038م):

4- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار السعادة، القاهرة، 1394هـ/1974م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت، 256هـ/870م):

5- **صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ/2002م.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت، 279هـ/892م):

6- **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت، 458هـ/1065م):

7- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405هـ/1984م.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري (ت، 874هـ/1470م):

8- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، د.ت.

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت، 429هـ/1037م):

9- **الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد**، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، 1327هـ/1909م.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت، 816هـ/1412م):

10- **كتاب التعريفات**، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م.

- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت، 370هـ/980م):

11- **أحكام القرآن**، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ/1994م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد (ت، 597هـ/1200م):

12- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992م.

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي (ت، 327هـ/938م):

13- **تفسير القرآن العظيم**، تح:أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، السعودية، 1419هـ/1998م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت، 852هـ/1448م):

14- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ/1959م.

15- **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ/1994م.

- ابن حديدة، محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري (ت، 783هـ/1381م):

16- **المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، تح: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت، 241هـ/856م):

17- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م.

- الختلي، إسحاق بن إبراهيم بن سنين (ت، 283هـ/896م):

18- **الديباج**، تح: ابراهيم صالح، دار البشائر، ط1، د.م، 1994م.

- الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت، 407هـ/1016م):

19- **شرف المصطفى**، دار البشائر الإسلامية، ط1، مكة، 1424هـ/2003م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت، 808هـ/1406م):

20- **تاريخ ابن خلدون**، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت، 463هـ/1070م):

21- **تاريخ بغداد وذيوله**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

- ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت، 240هـ/854م):

22-**تاريخ خليفة بن خياط**، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط2، دمشق، بيروت، 1397هـ/1977م.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، 282هـ/895م):

23- **الأخبار الطوال**، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1960م.

- الدينوري، أحمد بن مروان المالكي (ت، 333هـ/943م):

24- **المجالسة وجواهر العلم**، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، دار ابن حزم، البحرين، بيروت، 1419هـ/1998م.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت، 748هـ/1348م):

25- **العبر في خبر من غبر**، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

26- **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م.

27- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1413هـ/1993م.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت، 666هـ/1267م):

28- **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط2، بيروت، صيدا، 1420هـ/1999م.

- ابن زكريا، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت، 395هـ/1004م):

29- **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت، 538هـ/1144م):

30- **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م.

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت، 230هـ/845م):

31- **الطبقات الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ/1990م.

- ابن سعيد الأندلسي (ت، 685هـ/1286م):

32- **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، د.ت.

- ابن سلام، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت، 224هـ/838م):

33- **كتاب الأموال**، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.

- ابن سلام، محمد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحي (ت، 232هـ/846م):

34- **طبقات فحول الشعراء**، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت.

- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت، 911هـ/1505م):

35- **وفاء الوفاء بأخيار دار المصطفى**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م.

- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي (ت، 734هـ/1333م):

36- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تح: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، ط1، بيروت، 1414هـ/1993م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت، 911هـ/1505م):

37- **تاريخ الخلفاء**، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، د.م، 1425هـ/2004م.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم القرطبي (ت، 463هـ/1070م):

38- **بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تح: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.

39- **الاستيعاب في معرفة الأَصحاب**، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ/1992م.

- ابن عبد الحكم، عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع (ت، 214هـ/829م):

40- **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، تح: أحمد عبيد، عالم الكتب، ط6، بيروت، 1404هـ/1984م.

- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت، 685هـ/1286م):

41- **تاريخ مختصر الدول**، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت، 1992م.

- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت، 571هـ/1175م):

42- **تاريخ دمشق**، تح: محبّ الدين أبي سعيد عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت، 395هـ/1004م):

43- **الأوائل**، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة، ط1، طنطا، 1408هـ/1987م.

- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي (ت، 616هـ/1219م):

44- **المشرف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم**، تح: ياسين محمد السواس، دار الفكر، دمشق، 1403هـ/1983م.

- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبلي (ت، 1089هـ/1678م):

45- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، أخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق، بيروت، 1406هـ/1986م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت، 505هـ/1111م):

46- **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1409هـ/1988م.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت، 360هـ/970م):

47- **المعجم الأوسط**، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ت.

- الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت، 310هـ/922م):

48- **تاريخ الرسل والملوك**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، د.ت.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت، 709هـ/1309م)

49- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م.

- ابن الفراء، أبو علي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت، 458هـ/1065م):

50- **رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة**، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1392هـ/1972م.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب أبو طاهر (ت، 817هـ/1414م):

51- **القاموس المحيط**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1426هـ/2005م.

- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت، 276هـ/889م):

52- **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م.

53- **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992م.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت، 671هـ/1275م):

54- **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1384هـ/1964م.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت، 821هـ/1418م):

55- **صبح الأعشى وصناعة الإنشا**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت، 751هـ/1350م):

56- **أحكام أهل الذمة**، تح: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، ط1، الدمام، 1418هـ/1997م.

- الكتاني، محمد عبد الحيّ بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي (ت، 1382هـ/1962م):

57- **نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية**، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط2، بيروت، د.ت.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ الدِّمشقيّ (ت، 774هـ/1372م):

58- **تفسير القرآن العظيم**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ/1998م.

59- **السيرة النبوية**، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة، بيروت، 1395هـ/1976م.

60- **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1418هـ/1997م.

- الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري (ت، 634هـ/1237م):

61- **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ/2000م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت، 450هـ/1058م):

62- **نصيحة الملك**، تح: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 1403هـ/1983م.

- ابن المبرد الحنبلي، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي (ت، 909هـ/1503م):

63- **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة النبوية، 1420هـ/2000م.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، 346هـ/958م):

64- **التنبيه والإشراف**، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت.

65- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط5، بيروت، 1393هـ/1973م.

- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت، 770هـ/1368م):

66- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.

- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت، 845هـ/1441م):

67- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م.

- المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (ت، ق4هـ/10م):

68- **المنتخب في تاريخ المنبجي**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، ط1، لبنان، 1406هـ/1986م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت، 711هـ/1311م):

69- **لسان العرب**، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م.

70- **مختصر تاريخ دمشق**، تح: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر للطباعة، ط1، دمشق، 1402هـ/1984م.

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت، 430هـ/1038م):

71- **دلائل النبوة**، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت، 927هـ/1521م):

72- **الدارس في تاريخ المدارس**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1310هـ/1990م.

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (ت، 733هـ/1333م):

73- **نهاية الأرب في فُنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 1423هـ/2002م.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت، 213هـ/828م):

74- **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، 1375هـ/1955م.

- ابن أبي الهول، علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي (ت، 444هـ/1052م):

75- **فضائل الشام ودمشق**، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط1، دمشق، 1950م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، 626هـ/1228م):

76- **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، 292هـ/905م):

77- **تاريخ اليعقوبي**، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، 1431هـ/2010م.

ثالثاً: المراجع

1-التابعي، محمد: **السفارات في الإسلام**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م.

2-توفيق، عمر كمال: **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.

3-التويجري، عبد العزيز بن عثمان: **الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلام**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1430هـ/2009م.

4-الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمد: **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، د.م، 1407هـ/1987م.

5-حسن، علي إبراهيم: **التاريخ الإسلامي العام**، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، د.ت.

6- أبو الحسن الندوي، علي بن عبد الحي بن فخر الدين: السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط12، دمشق، 1425هـ/2004م.

7-حميد الله، محمد الحيدر آبادي الهندي: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، ط6، بيروت، 1406هـ/1985م.

8-خطاب، محمد شيث:

- **سفراء النبي** ﷺ، دار الأندلس الخضراء، مؤسسة الريان، ط1، السعودية، بيروت، 1417هـ/1996م.
- **الرسول القائد**، دار الفكر، ط6، بيروت، 1422هـ/2001م.

9-الخلف، سالم بن عبد الله: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 1424هـ/2003م.

10-الرحيلي، سليمان: **السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية "سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس**، مكتبة التوبة، الرياض، 1414هـ/1993م.

11-رستم، أسد: **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، دار المكشوف، ط1، بيروت، 1955م.

12-سالم، عبد الرحمن أحمد: **المسلمون والروم في عصر النبوة، دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول** ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/1997م.

13-سفر، حسن بن محمد: **السفارات في النظام الإسلامي**، جامعة الملك عبد العزيز، 1417هـ/1996م.

14- الشحود، علي بن نايف: **الخلاصة في حكم الاستعانة بالكفار في القتال**، ط1، 1432هـ/2011م.

15- الصلابي، علي محمد:

- **معاوية بن أبي سفيان ـ شخصيته وعصره**، دار الأندلس الجديدة، ط1، مصر، 1429هـ/2008م.
- **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط7، بيروت، 1429هـ/2008م.
- **الدولة الأمويةعَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار**، دار المعرفة للطباعة، ط2، بيروت، 1429هـ/2008م.

16- ضميرية، عثمان بن جمعة:

- **السفارة والسفراء في الإسلام**، الطائف، 1421هـ/2000م.
- **العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث**، كلية الدراسات العليا، ط1، جامعة الشارقة، 1428هـ/2007م.

17- طقوش، محمد سهيل:

- **تاريخ الخلفاء الراشدين**، دار النفائس، ط1، د.م، 1424هـ/2003م.
- **تاريخ الدولة الأموية**، دار النفائس، ط7، بيروت، 1431هـ/2010م.

18- عاقل، نبيه: خلافة بني أمية، جامعة دمشق، 1972م.

19- عبد الرحمن، عبد الرحمن محمد: **الدبلوماسية الإسلامية**، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2006م.

20- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد:

- **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، دار السلام، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- **العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية**، دار السلام للطباعة، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م.

21- عثمان، فتحي: **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**، الدار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، د.ت.

22- العدوي، إبراهيم أحمد: **الأمويون والبيزنطيون**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1372هـ/1953م.

23- عطية الله، أحمد: **القاموس السياسي**، دار النهضة العربية، ط3، القاهرة، 1968م.

24- عفيفي، محمد صادق:

- **تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1905م.
- **المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

25- علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، ط4، د.م، 1422هـ/2001م.

26- عنان، محمد عبد الله: **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام**، الناشر حسين العنان، ط5، القاهرة، 1417هـ/1997م.

27- الفتلاوي، سهيل حسين: **الدبلوماسية الإسلامية، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2006م.

28- الفرجاني، عمر أحمد: **أصول العلاقات الدولية في الإسلام**، دار اقرأ للطباعة والنشر، مكتب الجماهيرية، ط2، طرابلس، 1397هـ/1988م.

29- فرحات، كرم حلمي: **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، مكتبة الإمام البخاري، ط1، مصر، 1428هـ/2007م.

30- الفيومي، محمد إبراهيم: **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، دار الفكر العربي، ط4، د.م، 1415هـ/1994م.

31- كرد علي، محمد: **خطط الشام**، مكتبة النوري، ط3، دمشق، 1403هـ/1983م.

32- كرمي، أحمد عجاج: **الإدارة في عصر الرسول** ﷺ، دار السلام، ط1، القاهرة، 1427هـ/2007م.

33- الكيالي، عبد الوهاب: **موسوعة السياسة**.

34- ماجد، عبد المنعم: **التاريخ السياسي للدولة العربية**، عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، القاهرة، 1983م.

35- المبيضين، مخلد عبيد: **أصول العلاقات الدولية في الإسلام**، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ط3، عمان، الأردن، 1433هـ/2012م.

36- المنجد، صلاح الدين:

- **معجم بني أمية**، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1970م.
- **النظم الدبلوماسية في الإسلام**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م.

37- المهيري، سعيد عبد الله حارب، **العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية**، دراسة مقارنة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1416هـ/1995م.

38- **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي**.

39-يوسف، جوزيف نسيم: **تاريخ الدولة البيزنطية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

1-حميدية، أمينة؛ عليان، ملكية: **السفراء والدبلوماسيون في التاريخ الإسلامي ما بين القرنيين 4 و6هـ/10 و12م**، رسالة ماجستير، إشراف: فاطمة الزهراء مالكي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1435-1436هـ/2014-2015م.

2-عطية، أمال سالم: **السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق13-14)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبيد بوداود، جامعة اسطمبولي معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م.

3-نجم، جمال أحمد جميل: **أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير**، إشراف: جمال حشاش، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008م.

خامساً: المقالات

1-الربيع، وليد خالد: "**الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الفقه الإسلامي والقانون الدولي (دراسة مقارنة)**"، جامعة الكويت، مجلة الفقه والقانون.

2-السويكت، سليمان بن عبد الله: "**الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي**"، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد112، 1424هـ/2004م.

سادساً: المراجع الأجنبية

1- Michel le Zyrien, Chronique, Texte syriaque ،Traduit en français par J.B. Chabot, Paris, 1899.

2- Miller: Studies in Byzantine Diplomacy sixth to Tenth Century ph. D. 1963. Rutgers, The ststeuniversity, U. S. A.

3- Theophanes, The chronicle of Theophanes (A ،D602-813) Translated by Idarry turtledove, U.S.A ،Pensylvania, 1982.